167 بعيون النساء

167 بعيون النساء

الصور الورادة في الكتيب بعدسة الصحافي / حسين نزار محيسن

الفهرس

مقدمة 6
الصبر يما 8
احتضنت قدمه وقبلتها 14
عائلتي لاحقها الموت من بيت لبيت 20
ماراح اترككم تموتوا.. ومات 26
اللقاء الأخير 30
العكاز رفيقي 36
حتى لا أزعج الشهداء 40
صرنا عيلة معاقة 46
على قيد الحياة 50
عيد ميلادها يوم موتها 54
زيدي المرقة وكثري الملوخية 58
من يزورهم في المقبرة 62
تذوقت طعم الغبار 68
الحمام بالطابور 74
طلعنا ٣٠ وارجعنا ١٤ 78
وماحدا عرف مين ابنه 84
أنا جيت تعالوا 88
أولادي في ثلاجة الخضار 94
رقم "١٣" راح يما 100
في ثلاجة الموتى 104
سبقها الموت لهم 110
كأننا سراب 115
شفت الجثث على الأرض إمّليا المكان 122

إهداء

إهداء إلى أرواح ضحايا العدوان
الإسرائيلي على قطاع غزة في صيف
٢٠١٤، سنوقد لكم الشموع ونقرأ لكم
الفاتحة وندعو لكم بفسيح الجنان،
ونتمنى لعائلاتكم الصبر والسلوان
لن ننساكم

مقدمة:

يأتي نشر هذا الكتيب في إطار مشروع تعليم القانون الدولي الإنساني وتعزيزه في قطاع غزة، وهو ممول من مؤسسة ديكونيا، ويهدف مركز الميزان لحقوق الإنسان من خلاله إلى رفع وعي المحامين والفئات المهمشة بالحماية التي يوفرها القانون الدولي الإنساني للمدنيين وغيرهم من الفئات أثناء النزاعات المسلحة، وتمكينهم من آليات رصد وتوثيق الانتهاكات الموجهة ضد المدنيين في قطاع غزة.

هذا ولم يكُ نشر قصص حول تجارب النساء ومعاناتهن خلال الهجوم الحربي واسع النطاق الذي شنته قوات الاحتلال الإسرائيلي في الثامن من تموز/ يوليو ٢٠١٤ ضمن نشاطات هذا المشروع، ولكن المركز شعر بالحاجة إلى نقل معاناة النساء وما عايشن من أهوال أثناء الهجمات الحربية التي تعرض لها قطاع غزة، ولاسيما من تعرضت منازلهن للقصف المباشر وعشن أهوالاً ومآسي سواء من تعرضت منهن للقتل أو الإصابة أو أولئك اللواتي شهدن وعايشن مقتل أزواجهن وأطفالهن وتدمير مساكنهن، أو من أجبرت منهن على الهرب تحت جحيم القصف المتواصل وكن يتعثرن بجثث من قتلوا وهم يحاولون الهرب من مساكنهم ومناطقهم السكنية، والمعاناة الشديدة الناشئة عن تهجيرهن قسرياً ولجوئهن إلى مراكز إيواء افتقرت إلى الحدود الدنيا التي تؤمن للبشر حياة تكفل كرامتهم الإنسانية المتأصلة.

ومن نافلة القول أن الآثار الناجمة عن الهجمات الحربية الإسرائيلية وجرائم الحرب التي ارتكبت خلال خمسين يوماً من الهجمات المتواصلة تصيب النساء وتلقي بأعباء جسام على كاهلهن أضعاف ما تفعل في أقرانهن من الرجال الأزواج والإخوة وما إلى ذلك. فالمرأة عندما تفقد المسكن تفقد حياتها لأنها تفقد الفضاء الوحيد الذي يشكل فضاءها الأول في ظل مجتمع ذكوري، وبالطبع يفرض عليها بحكم الثقافة والعادات أن تواصل لعب أدوارها كاملة فهي المسئولة عن الاهتمام بشئون أفراد أسرتها بالكامل من تغذيتهم ونظافتهم الشخصية إلى الاحتضان وتقديم الدعم النفسي وهن أحوج ما يكن للاحتضان والدعم النفسي.

يتناول الكتيب تجارب ثلاث وعشرين سيدة على شكل قصص تحكي تفاصيل معاناتهن في مواجهة جحيم القصف والتشرد. وتستند القصص إلى رواياتهن حول تجاربهن الشخصية لفريق عمل المشروع من خلال الزيارات البيتية والمقابلات الشخصية التي أجريت معهن.

ويحرص الميزان على توثيق روايات النساء كما جاءت على ألسنتهن، وهي قصص تركز على حياتهن تحت العدوان والذي مست فيه قوات الاحتلال الإسرائيلي وبشكل رئيسي بجملة حقوق الانسان لكافة سكان قطاع غزة، لاسيما النساء اللواتي بلغ عدد القتيلات منهن (٢٩٣) امرأة، وفقدت (٧٩٢) سيدة زوجها وأصبحت أرملة، هذا بالإضافة إلى المئات ممن فقدن أطفالهن. يذكر أن الحالات التي يوردها الكتيب فقدن (١٧٨) شخصاً من أسرهن.

"الصبر يما"

"الصبر يما"

فخرية السكافي سيدة تبلغ من العمر (٥٦) عامًا، متزوجة من أكرم محمد السكافي يبلغ من العمر (٦٣) عامًا ولها (١٢) من الأبناء، (٦) إناث، وهم رنا متزوجة ولها ثلاثة أطفال، أمل متزوجة ولها ثلاثة أطفال، منار متزوجة ولها ثلاثة أطفال، أزهار متزوجة ولها طفلين، ياسمين متزوجة ولها طفلتين وسماح مخطوبة ، أما الستة الذكور هم أحمد، عمر، محمد، عبد الرحمن، أنس، سعد، فقدت فخرية زوجها اكرم السكافي، وثلاثة من أنجالها هم : عبد الرحمن أكرم السكافي (٢٢) عامًا، والتوأم أنس وسعد أكرم السكافي (١٨) عامًا، وخمسة من أقارب زوجها ممن لجئوا لبيتهم بحثًا عن الأمان وهربًا من العدوان.

عبد الرحمن كان طالبًا جامعيًا، والتوأم أنس وسعد انتهوا من دراسة الثانوية العامة وكانوا قبيل استشهادهم بأيام قد حصلوا على درجاتهم في الثانوية العامة، حيث حصل أنس على (٨٨٪) في الفرع العلمي، وسعد حصل على (٩١٪) في الفرع الأدبي، كانوا متفوقين علميًا وحافظين القرآن الكريم .
تسكن فخرية هي وعائلتها في منزل يقع في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، حيث يعمل زوجها مؤذنًا لجامع منطقتهم.

بدأت فخرية تروي أحداث ليلة يوم الأحد الموافق ٢٠/٧/٢٠١٤ وهي الليلة التي ستبقي عالقة في ذاكرتها لبشاعتها، تروي هذه السيدة قصة فقدانها لأحبابها، حائرة النظرات وتائهة وكأنها عادت لتعيش ذلك اليوم من جديد بدأت الدموع تنهمر من عينيها وساد صمت في المكان، بدأت علامات الحزن واسترجاع أحداث تلك الليلة، وكأن ليلة ٢٠/٧/٢٠١٤ تحدث في هذه الأثناء فقالت : يوم الأحد الموافق ٢٠/٧/٢٠١٤ كانت أكتر ليلة صعبة لمنطقتنا وكان الاحتلال يشن هجومًا وحشيًا في أكتر من مكان في المنطقة، دب الرعب في قلوب من في البيت وكان عددنا بالبيت ما يقارب ثلاثون شخصاً حيث أن بناتي المتزوجات(رنا، أمل، منار، أزهار، ياسمين) كانوا هاربين هم وأبنائهم وأيضاً أقارب زوجي وأولاد عموم زوجي وهم مصعب الخير صلاح الدين السكافي، عصام عطيه السكافي، مجاهد مروان السكافي، كانوا هاربين من بيوتهم للاحتماء من العدوان عندنا .

في حوالي الساعة ٤:٠٠ فجرًا، ومع اقتراب موعد آذان الفجر لم يستطع زوجي أكرم الذهاب إلى الجامع لرفع آذان الفجر في المنطقة، وذلك بسب خطورة وصعوبة تلك الليلة، لأن أي شخص قد يكون مستهدفًا بمجرد الخروج من البيت ولأي سبب من الأسباب، حتى أنه داخل المنزل لم يستطيع أي أحد أن يتحرك من مكان مجلسه من شدة الخوف الذي يعم البيت، وفي حوالي الساعة ٥:٠٠ فجرًا قررنا الخروج من البيت ولكن من شدة القصف لم نستطيع الخروج.

عند الساعة ٧:٠٠ صباحاً جاء ابن عم زوجي محمد حسن السكافي ونجله علي محمد السكافي للمكوث عندنا نظراً لخطورة الوضع وقرب تساقط القذائف من بيتهم، وبعد تقريباً ساعة لم نعد نسمع أصوات انفجارات فقررنا أنا ومن كان في بالبيت من النساء الخروج إلى بيت أقارب لنا، لا يبعد إلا أمتار قليلة عن بيتنا، وبقى زوجي أكرم وأولادي عبد الرحمن، أنس، سعد، وأولاد عموم زوجي، مصعب الخير صلاح الدين السكافي، عصام عطيه السكافي، مجاهد مروان السكافي، وابن عم زوجي محمد حسن السكافي ونجله علي محمد السكافي، ليأخذوا قسطًا من الراحة والنوم نظراً لصعوبة الليلة السابقة وعدم قدرة الجميع على النوم، وكان بيت بني عم زوجي أكرم ممتلئاً أيضًا بأقاربهم الذين جاءوا من أماكن مختلفة هرباً من العدوان في مناطقهم.

حوالي الساعة ١:٠٠ ظهراً سمعنا صوت انفجار ضخم جداً، وقريب جداً من مكان المنزل وبدأ الدخان الأسود يتصاعد بالمنطقة والأحجار تتطاير إلى داخل بيت أقاربنا الذي ذهبنا إليه ولكن لا أحد يدري أين هذا الانفجار؟ ومن المستهدف؟ دقائق معدودة بدأت أصوات الناس تتعالى وتقول، بيت أبو أحمد السكافي انقصف، عندما سمعت ذلك أحسست أن قلبي يتوقف وبدأت أصرخ،(زوجي وأولادي بالبيت)، حاولت أن أحرك قدماي ولم تكن تتحرك وكأني أصبت بشلل لم أستوعب شيء ولا أريد أن أصدق ما سمعته من خبر قصف بيتي، كنت أنتظر أي شخص ليخبرني بأن بيت أبو أحمد السكافي ما زال قائماً ولم يقصف، ولكن لم يحدث ذلك، بعدها بلحظات جاء ابني الأكبر أحمد والدموع في عينيه والخوف يملأ وجهه ويداه ترتعش من هول ما رأى، ليضمني إليه و يقول لي " الصبر يما" البيت انقصف علي اللّي فيه .

تكمل ودموعها تملأ عينيها:
لم يستطع أي أحد الخروج لإسعاف من كان بالبيت ولا حتي انتشال الجثامين، لأن القصف الاسرائيلي كان ما زال مستمراً وحياة أي شخص كانت مهددة.
وبعد إعلان الاحتلال الإسرائيلي عن هدنة مدتها خمسة ساعات وذلك لانتشال جثامين القتلى قام وقتها الجيران بالبحث عن الجثث، حيث أن الركام كان يغطي الجثامين، فقاموا بانتشال جثمان زوجي أكرم السكافي وابني عبد الرحمن السكافي، ولم يعثروا على جثمان سعد ولا جثمان أنس من كثرة الدمار والركام، وبعد يومين في الهدنة الثانية عاد المسعفين للبحث مرة أخرى عن جثامين القتلى، وكان المسعفين يكسرون الحجارة ليبحثوا عن التوأم أبنائي(سعد، أنس) وبعد عناء شديد وجدوا الجثامين.

تصمت السيدة فخرية لدقائق، وفجأ رسمت على شفتيها ابتسامة ممزوجة بالحسرة، لترجع بذاكرتها قبل ثمانية عشر عاماً حين حملت بتوأمها سعد وأنس تقول حين أخبرني الطبيب أني حامل بتوأم ذكر، وأخبرت زوجي أكرم، بهذا الخبر كان فرحاً جداً، وفي

هذه الليلة حلمت بشـــخص أتي ليَّ في المنام، وقال ليَ(يا فخرية سمي أحد توأمك سعد والآخر سميه أنس) لحظتها استيقظت من نومي، ونويت إن رزقت بتوأم ذكور سوف أسميهم بنفس الأسماء التي حلمت بها(سعد، أنس) وبالفعل هكذا فعلت.

عادت للصـمت مرة أخرى وعادت الدموع لتملأ عينها وتقول لم أودع أبنائي أنس وسعد بعد انتشـــال جثثهم، لأنه تم دفنهم فور انتشال جثثهم، حتى أنني لم أشعر بطعم الفرح بنجاحهم حين حصلوا على نتائجهم بالثانوية العامة بسـبب الحرب، كنت أنتظر انتهاء الحـرب لأوزع الحلوى علـى جيـراننا وأقاربنا، كانوا أولادي دائمًا يتحدثون معـي ومع والدهم عن مـرحلتهم الجامعية وعن التخصـــــصـــــات التي كانوا يريدون أن يدرسوها بالجامعة، هذا كله أصبح ذكريات أتذكرها لأولادي، هذا ما تبقي منهم، كل أحلامهم أصبحت وهم .

هكذا روت السيدة فخرية السكافي قصـة فقدانها لزوجها وأبنائها الثلاثة، وفقدان منزلها الذي كان يضـم أولادها ويحمل الكثير من ذكرياتها مع عائلتها، لم يتبقى لها أي ذكري جميلة سوي الذكريات العالقة في ذهنها فقط.

"احتضنت قدمه وقبلتها"

"احتضنت قدمه وقبلتها"

تسكن السيدة وفاء السكافي "٤٤ عاماً"، والمتزوجة من السيد محمد حسن السكافي "٥٠ عاماً" و ابنيهما (علي محمد السكافي "٢٧ عاماً، وزوجته ياسمين أكرم السكافي "٢٢ عاماً" و طفلتيه فاطمة وزهراء) وابنها الصغير حسن محمد السكافي "١٢ عاماً"، في منزلهم البسيط في شارع النزاز، بالقرب من جامع الشهداء في حي الشجاعية، شرق مدينة غزة.
وفاء أو "أم علي" كما أحبت أن نناديها وتحب أن يفعل الجميع ذلك، أم علي صـــاحبة وجه حزين وعيون مليئة بالدموع على من فارقت من الأحبة، أسندت ظهرها للخلف إلى ظهر الكرسي وبدأت تروي لنا ما أحلَ بها من وجع وقهر:
يوم الأحد الموافق ٢٠/٧/٢٠١٤، كانت ليلة صعبة ومخيفة على كل من كان يسـكن في حي الشـجاعية لأن هذا الحي وكل من يسكن فيه كان مستهدفاً، لأن القصف كان عشوائي وكلنا كنا خائفين ننضرب.

كان صوت الانفجارات مسـتمر طوال الليلة ولم يهدأ أبداً، ولا أحد منا كان يعرف أين تحدث هذه الانفجارات، ومن شدة الخوف لم يستطيع أي أحد من الجيران الخروج إلى الشارع لقضاء أي شيء من حاجاته، وكان أغلب السكان هاربون من المنطقة من شدة الخوف و السكان المتبقيون كانوا ينتظروا إلى أن يهدأ صوت القصف للهروب من المنطقة، ولكن لا أحد يهرب من قدره ونصيبه .
في هذه الليلة قامت قوات الاحتلال بقصف جامع الشهداء، وهو جامع قريب جداً من منزلنا وبعدها قاموا بقصف بيت يعود لعائلة الجدي وقريب منا أيضـاً، حينها أيقنت أن المنطقة كلها مهددة وإذا استمر القصـف بهذا الشـكل لن ينجو أحد، وحوالي السـاعة ٤:٠٠ فجراً بدأ صوت القصـــف والعدوان يزداد بشـــكل جنوني، وبدأت أصوات الانفجارات تقترب، عندها بدأت أشعر بالخوف والارتباك على أولادي، وبدأت فعلياً أفكر بترك المنزل أنا وزوجي وأولادي ولكن صـــوت الانفجارات منعنا من أن نتخذ هذا القرار في هذا الوقت.

وفي حوالي الســـــاعة ٦:٣٠ صباحاً انخفض صوت الانفجارات، حينها عرضت على زوجي محمد أن نترك البيت، لكنه رفض الخروج وقال ليّ أنا لن أخرج من بيتي، أريد أن أموت في بيتي، عندها قررت أن أخرج من البيت.
فخرجت أنا ومعي ابني الصـغير حسـن، وزوجة ابني علي (ياسمين) وابنتيه (فاطمة، زهراء) وقت خروجنا كان ضرب المدفعيات يستهدف النازحين من المنطقة فكل من كان متبقي في المنطقة قرر الهروب في هذه الساعة.
قبل أن أخرج ذهبت لأتوضأ وعندما خرجت إلى الشـــارع كنت أحتضـــن القرآن الكريم بيدي ليحميني أنا وعائلتي، وبالبيد الأخرى كنت أمسك يد ابني الصغير حسن، وكنت أركض في الشارع أنا و زوجة ابني وحفيدتيَ، وكنا نجري بجوار الحائط حتى نحتمي

من القذائف ولا تصيبنا، كانت سيارات الإسعاف تقف على أول الشارع الذي نسكن فيه ليساعدوا الناس الهاربين، ويساعدوا المصابين لأنهم لم يتمكنوا الدخول إلى الشارع بسبب استهداف قوات الاحتلال أي سيارة في الشارع، المسافة بين الشارع وبيتنا لم تكن تقريباً إلا مترات قليلة، ولكن في لحظة هروبي أنا و عائلتي كانت أطول مسافة أركضها في حياتي، شعرت أن الشارع ليس له نهاية، كنت أنظر إلى أول الشارع وأقول ها أنا دقيقة وأصل، ولكني كنت أركض أكثر من عشرة دقائق، ولا أصل كان الخوف يسيطر علينا وكانت أقدامنا لا تحملنا من الخوف، لأنهم كانوا يرتعشوا ونحن نركض كنت خائفة على صغيري حسن وعلى حفيدتيَ لأنهن ما زلن صغيرات .

وصلت أنا وابني حسن وزوجة ابني علي وحفيدتيَ إلي أول الطريق بعدها ساعدنا رجال الاسعاف للإخلاء المنطقة، ذهبنا إلى بيت أقاربنا في نفس المنطقة وهو بيت أخت زوجي ولكن المنطقة لم تكن آمنة وكان صوت الانفجار قريباً، حينها اتصل على ابني علي وقال لي أن أذهب إلى بيت ابنتي المتزوجة والتي تسكن في حي الرمال الجنوبي، وكانت منطقتها آمنة نوعاً ما وأخبرني علي ابني أنه هو ووالده سوف يذهبون إلى بيت بني عم زوجي وهو بيت السيد (أكرم السكافي)، للاحتماء والجلوس مع أقاربهم عندها انا فعلاً سمعت كلام ابني وذهبت إلى بيت ابنتي.

في حوالي الساعة ١:٠٠ ظهراً كان ما زال صوت القصف مسموعاً وكنت أشعر بالخوف والقلق على زوجي وابني وكنت أشعر بشعور بشع وغريب، وكأن قلبي يخبرني أن شيء سوف يحدث ولكن لم أكن أعرف ما هو .
لحظتها فتحت المذياع لا أعرف ماذا يجري ولا أعرف أين هذه الانفجارات، وجاء خبر عاجل على المذياع (قصف منزل يعود لعائلة السكافي في حي الشجاعية)، سمعته وبدأت أركض بالبيت كالمجنونة وكنت بحالة هيستيرية وقلبي بدأ ينبض بشدة، وكنت أنادي بأعلى صوتي (أبو علي و علي شو صار فيكم؟ بيت مين المقصوف؟ وين زوجي ؟ وين ابني ؟)
وبدأت أحاول الوصول لهم بالاتصال علي هاتف زوجي "مغلق" هاتف علي "مغلق" أعاود المحاولة "مغلق" "مغلق" "مغلق" "مغلق" أحسست أن هذه الكلمة تشعل ناراً في قلبي، ولم أتمالك أعصابي ولم أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، وكأن شيئاً في داخلي يخبرني بأن زوجي وابني ليسوا بخير، وهم الذين كانوا قتلوا في هذا القصف وقررت الذهاب إلى مستشفى الشفاء.

عندما وصلت إلى هناك كانت المستشفى تكتظ بالناس، الذين يريدون أن يطمئنوا على أقاربهم، وتكتظ أيضاً بالشهداء والجرحى، عندما ذهبت كنت أشعر أن زوجي وابني بالمستشفى لكن لم أكن أعلم أنهم في عداد الشهداء.
وجدت أقاربنا من عائلة السكافي بالمستشفى، ليطمئنوا على العائلة ولكن لا أحد يعرف شيء، حينها ذهبت إلى الطبيب لأسئله عن زوجي وعن ابني، أخبرني أنه يوجد تسعة شهداء من عائلة السكافي وطلب مني الذهاب معه لثلاجة الموت لأتعرف على جثمان زوجي وابني، عندما سمعت ما قاله الطبيب تمنيت لو أني لم أترك البيت وبقيت معهم، كان الطبيب يسبقني لثلاجة

الموتى، وأنا قدماي كانت تتخبط ببعضـــهم، وخطواتي تتعثر ببعضـــها، كانت يداي ترتجف وكنت لا أريد أن أصل إلى ثلاجة الموتى، لا أريد أن أرى جثمان زوجي ولا جثمان ابني، كنت أتمني لو أن الطريق إلى ثلاجة الموتى تحتاج سنين لتنتهي، تمنيت لو أن المسـافة الطويلة التي كنت أركضـها عندما هربت من بيتي تكون هي نفسـها هذه المسـافة الطويلة لكى أصل لثلاجة الموتى، ولكن العكس تمامًا ما حدث أنها كانت أسرع طريق مشيتها بحياتي حتي أنني وصلت بسرعة .

فتح الطبيب ثلاجة الموتى وبدأ برفع الغطاء عن أول جثمان، عندها بدأ قلبي يخفق بشـــدة وكاد أن يتوقف وبدأت يداي ترتجف وبدأت أبكي بشدة، أفسح ليّ الطبيب المجال لأرى وجه الشهيد الأول، وإذا به جثمان ابني (علي)، عندما رأيته وكأن أحد زرع في قلبي سكينًا، بدأت أصرخ بأعلى صوتي وأنادي على ابني (علي) كان وجهه أبيض متل الثلج وكأن نورًا يشع منه وكان مبتسما، لم أره في حياتي مبتسـمًا هكذا، شعرت وكأنه يراني بدأت أتلمس وجهه وأقبله ودموعي تتسـاقط على وجهه، تمنيت لو أنني استطيع فعل شيء لأستعيد أول فرحتي وابني الكبير ولكن لم يكن بقدرتي إلا أن أبكي وأبكي وأصرخ .

حاولت أن أتمالك أعصابي، وأن أكون قوية وسئلت الطبيب عن جثمان زوجي قال لي الجثمان الباقي لا نستطيع أن نكشف عنه، ولكن يوجد بعض من الملابس الخاصة بالجثمان بإمكانك التعرف على زوجك من خلال ملابسه، الجثة عبارة عن أشلاء ممزقة، وجاء ليّ بالملابس لكنني لم أستطيع التعرف عليها لأن الملابس كانت سوداء اللون من آثار الغبار والدخان، ولكنني شعرت أن هذه ملابس زوجي وكنت أعرف أن هذا الجثمان لزوجي كنت مصرة أن أري جثمانه لأودعه حتى لو كان أشلاء.

سقطت أيضـًا بالقرب من ثلاجة الموتى وأنا أبكي على زوجي وابني، وبدأ الناس بإخراج جثامين الشـــهداء وتشـــيعهم، وكان الأطباء يسـعفون الجرحى، ولا أحد ينظر إلى أحد حينها لا أدري ماذا حدث شيء داخلي جعلني أتمالك أعصـابي وأجمع كل قواي وكنت اشعر وكأن زوجي يناديني لكي أراه، حتى أنني سمعت صوته في أذني وكأنه يريد أن يودعني، وقفت، مسـحت دموعي، كان قلبي يخفق بسـرعة شديدة، لم أكن أستطيع التنفس لكن اللّه ألهمني الصـبر والقوة، ذهبت إلى ثلاجة الموتى وكلما كنت أقترب من ثلاجة الموتى كنت أسمع صوته أقوى وأقوى يناديني، زوجي بيناديني، وبدأت السـعادة تظهر على وجهي لأني أسمع صوته، وصلت إلى الثلاجة وكشفت عن جثمان زوجي كنت سعيدة جداً وأنا أكشف عن جثمانه ولكن بعد ما كشفت ورأيت جسده أشلاء، ولا يوجد ملامح، عندها أنهرت كليًا، من هول ما رأيت وبدأت ألمسـه وأقبل ما تبقي من جثمانه، بكيت وصرخت بشـدة، وأنا اتلمس جثمانه كنت أتذكره وأتذكر طيبة قلبه وحنانه على عائلتنا، في هذه اللحظة دخل أطباء ومجموعة من الناس إلى ثلاجة الموتى ليضعوا المزيد من الشـهداء في الثلاجة، فشـاهدني طبيب وأنا بهذه الحالة فقام أحد الأطباء بإرجاع الغطاء على وجه زوجي وإغلاق الثلاجة.

لم أستطع التحرك عن ثلاجة الموتى كنت أجلس بجوارها وأبكي بشكل هيستيريًا على زوجي وابني جاء أحد الاطباء وسألني

عن من أبحث ؟ فقلت له أني فقدت ابني وزوجي وأريد أن أري جثمان زوجي، فسئلني عن اسم زوجي وعرف من اسمه أن جثمانه عبارة عن أشلاء وقال لي أنه أشلاء، ولا يوجد إلا قدم له صحيحة، فقلت له حتى لو أشلاء أريد أن أراه، ففتح ثلاجة الموتى ورفع الغطاء من الجهة التي يوجد فيها قدم زوجي الصـــحيحة والغير ممزقة، عندما رأيت قدمه بدأت أبكيه وكأنني لم أبكيه من قبل ولا إراديًا احتضنت قدمه وبدأت أقبلها، وعندما رآني الطبيب هكذا أخذها مني وأعادها للثلاجة.

بعدها عدت إلى البيت ولم أســـتطيع الدخول إلى باحة المنزل، لأن البيت كان ممتلئ بأغراض زوجي وابني، لكني جمعت قواي ودخلت إلى المنزل وبدأت أجمع أغراضهم وأحتضنها، كنت أشتم رائحة زوجي وابني في كل زاوية بالبيت.
في هذه اللحظات بدأ صوت أم علي ينخفض، و بدأت تبكي بشـــدة ويداها كانت ترتجفان، بدأت تتلفت وتنظر حولها في أرجاء البيت بعينين تحلمان بعودة الغائبين وأكملت:
بعد أن ودعت زوجي وابني حلمت بهما في نفس الليلة وحلمت أن زوجي كان معي في مكان ما ومسـك بيدي وكنا نسـير أنا وهو في طريق طويل، وما أن استيقظت، بدأت أبحث عنه في غرفتي ونظرت إلى يدي التي كنت أمســـــك بها يد زوجي في الحلم فوجدتها ساخنة بعض الشـيء، وكأن زوجي فعلا كان يمســك يدي وأنه حقيقة وليس حلم، وما أن عدت لأنام مرة أخرى حلمت بابني علي يجلس بجواري في باحة البيت وكان يتحدث معي وكانت الابتســـامة لا تفارق وجهه، بعدها استيقظت ولم أستطيع النوم مرة أخرى، كانت ليلة صعبة بدأت أتذكر زوجي وابني، تذكرت أهم حدث في حياتي حيث أنا وزوجي قبل العدوان بســـبعة أيام كنا عائدون من مكة المكرمة من أداء مناسك العمرة، فكانت أجمل أيام حياتي كان يعاملني بحب واحترام وكان طيلة السفر يخبرنـي أنه يحبني وكان يطلب مني أن لا أفارقه، وأن أجلس بجواره طوال الوقت لأنه يريد أن يتحدث معـي وينظـر إلىَ، كان يطلب مني طوال الوقت أن ألتقت له الصـور وكأنه كان يشـعر أنه مفارقني ويريد أن يترك ليَّ صور لأتذكره، هذه الصـور التي تركها لي هي جواز سفري للعبور في ذكرى أجمل سنين عمري التي عشـــــــتها معه، وكل ليلة أجلس ما يقارب ثلاثة ساعات لأتصفح صوره وأتذكر كل يوم عشته معه وكل لحظة كانت بيننا مع أولادنا، وفي بيتنا.

أبو علي تركني وترك لي مســـئولية كبيرة، لأربي أولادي، فهم أمانة في رقبتي وأنا المســـئولة عنهم أنا أمهم، وأبوهم، وأنا أختهم، وأخوهم، سـوف أعيش لأولادي لأكون معهم بقية حياتهم وكأن زوجي موجود، كان يحبني كثيراً هو كان زوجي، وأخي، وابني، وأبي، وكل شيء جميل في حياتي، لا يوجد حياة بعد رحيله.

عائلتي لاحقها الموت من بيت لبيت

20

عائلتي لاحقها الموت من بيت لبيت

السـيدة: هبة جمال وهدان، تبلغ من العمر (٢٧) عامًا، متزوجة من: أمجد حاتم زكي وهدان (٢٨ عامًا)، لديها ثلاثة أطفال هم: عبد اللّه (٦ أعوام)، حاتم (٤ أعوام)، وهناء(٦ أشهر). وتقطن عائلة وهدان في أكثر من منزل في الطرف الشرقي من حي الأمل (البورة) الذي يطل على الحدود الشرقية لبيت حانون، حيث تقع مقابل المنطقة مستوطنة (اسدروت) على مسافة تقدر بـ٩٠٠ متراً من الحدود، ويعمل معظم أفراد عائلة وهدان في الزراعة وتربية النحل. تعيش هبة مع زوجها وأطفالها في منزل ذويه المكون من طبقتين، وتسكنه ست عائلات تضمّ قرابة الثلاثون شخصاً.

عانت هبة وعائلتها كثيراً خلال فترة الهجمات الحربية واسعة النطاق المسماة بالجرف الصامد بسبب وجود بيتهم في منطقة حدودية، ما جعله عرضة للقصف الشديد، وسقط عدد كبير من صواريخ الاحتلال قربه، ما أجبر جزء من العائلة على ترك المنزل والنزوح إلى مدارس تابعة لوكالة الغوث الدولية، فعانوا من التهجير القسري، وفقدت هبة خلال حادثين في العدوان (١٢) شهيداً من عائلتها، هم: جد زوجها/ زكي عبد الرحمن وهدان (٧٠ عامًا)، وجدته/ سعاد إسماعيل وهدان (٦٥ عامًا)، وحماها/ حاتم وهدان (٥٢ عامًا)، وحماتها/ بغداد وهدان (٥٠ عامًا)، وأخوات زوجها: زينب (٢٧ عامًا)، "وصمود (٢٣ عامًا) وطفلتها/ غنى يونس صقر (عام ونصف)"، وأخوة زوجها/ أحمد (١٤ عامًا)، وحسين (١٠ أعوام). وأختها- زوجة شقيق زوجها "بهجت"- جميلة وهدان(٢٨ عامًا)، وطفلة أختها/ نور الهدى (عامان). وزوجة عم زوجها/ سنيورة وهدان (٢٢ عامًا). تستذكر هبة تلك الأيام، وتحدثنا وهي تنظر بعيداً وكأنها تشاهد من فقدت وتقول:

"كنا حوالي (٣٠) شخص نعيش في بيت واحد بيتكون من طبقتين.. عشنا أيام صعبة من بداية العدوان ويوم الأربعاء الموافق ١٦/٧/٢٠١٤.. مرض أولادي الثلاثة: "عبدالله، حاتم، وهناء" وارتفعت درجة حرارتهم.. يمكن من الخوف من القصف.. وأصوات الصواريخ اللي كانت تقع جنب بيتنا.. وعند حوالي الساعة ١:٠٠ من فجر يوم الخميس الموافق ١٧/٧/٢٠١٤ طلبنا الإسعاف وأجت بعد دقايق.. أخذتني وأطفالي لمستشفى بيت حانون.. وهناك قالي الدكتور انو حالتهم غير مستقرة وطلب مني أظل بالمستشفى.. نمت فيهم هديك الليلة في المستشفى.. وعند حوالي الساعة ٣:٠٠ فجراً سمعت مرة بتقول بأنو الاحتلال قصفوا بيت لعيلة وهدان.. وقتلت اثنين منهم: بكر وهدان وبهاء وهدان.. عرفتهم هم أولاد عم جوزي.. أجا جوزي الصبح وخبرني أنو ولاد عمه أصيبوا بس وهما بخير.. والظهر واحنا في المستشفى سمعنا صوت انفجار كبير هز المستشفى.. شفت الناس بتهرب.. حتى الدكاترة والممرضات والعيانين.. عرفنا انو الاحتلال قصفت الطابق الأخير من المستشفى.. فهربنا من

المستشفى.. وأخذني جوزي لبيت أهلي في بيت لاهيا.. يوم الجمعة الموافق ١٨/٧/٢٠١٤ قالي جوزي أنو الاحتلال اجتاح بيت حانون بريًا.. وحارتنا.. وكل دار وهدان تهجروا.. فقال خالي: جميل يوسف أبو القمصان: روحوا اسكنوا في بيتي الفاضي القريب من مسجد الخلفاء الراشدين في معسكر جباليا.. فرحنا.. واحنا هناك عرفنا انو الجيش دخل بيت جد جوزي: زكي زهدان" وعملوه ثكنة عسكرية.. واعتقلوا سبعة من اللي كانوا فيه وهم: "حاتم وهدان وأولاده/ رامي، بهجت، محمد، زكي، وأعمام جوزي/ أمين، علي، ومحمد".. واخذوهم للسجن.. وبعد ثلاثة أيام روحوا.. من ايرز.. أجوا لعنا في بيت خالي.. وعرفنا منهم انو ثمانية ظلوا بالبيت في البورة هم: جد زوجي زكي، وجدته سعاد، وحماتي بغداد، وأخواتو/ زينب وصمود وبنتها، وأحمد وحسين..

كان جوزي دايمًا بيتصل في اخته زينب ليطمن عليهم.. وفجأة فقد الاتصال معها.. كنا بنسمع في الاخبار انو الجيش دمر بيت حانون.. ويوم السبت ٢٦/٧/٢٠١٤ أعلنوا عن هدنة إنسانية لساعات فراح جوزي وقرايبه لبيت حانون ليطمنوا على العيلة.. وهناك تفاجئوا أنو البيت مدمُر بشكل كامل..الجيش قصفو على اللي فيه.. كانت فاجعة للجميع.. ما قدروا يطلعوا الجثث من تحت الأنقاض.. وما اكتملت الهدنة لانو الاحتلال خرفها واطلق النار على جوزي واللي بيساعدوه في انتشال جثث العيلة.. طلبوا المساعدة من الصليب الأحمر والهلال الأحمر.. ناشدوا الكل للتدخل.. حاولوا يساعدوهم مساعدته بس الوقت ما سمح.. قدروا ينتشلوا (٩ أرجُل، ويد واحدة) وظلت بقية الجثث تحت الركام.. ما عثروا على أي شيئ من جثة حماتي.. ولا من جثة جد زوجي.. ولا بنت أخت زوجي الرضيعة غنى..رجعوا..

كنا بنعيش في المدرسة وفي بيت خالي.. كان غرفتين زينكو واسبست.. غرفة قعد فيها نسوان عم جوزي واولادهن.. والثانية قعدت فيها مع نسوان اخوة جوزي واولادنا.. والرجال كانوا يناموا في الصالون.. يوم ٣/٨/٢٠١٤ عالساعة ١٢:٤٠ فجراً سمعت أصوات قصف قوية.. رغم ذلك رحت انام مع اولادي.. وفجأة صحيت لقيت حالي بين ركام.. فوقي وفوق اولادي وفوق الكل.. والغبرة والدخان مملية المكان.. والدنيا عتمة وما في كهرباء.. خفت.. صرخت.. فكرت باولادي بس.. صرت ارفع عنهم الحجار.. مش شايفة.. ظليت احاول.. لقيت الفراش محروق.. ناديت على اولادي وعلى جوزي.. سمعت الكل بيصرخ وبينادي.. سمعت بكى الاولاد.. رحت لمكان الصوت.. وصلتلهم.. حملت بنتي هناء.. واخدت اولادي وطلعت اجري برة الغرفة بشكل لا ارادي.. ما شفت حدا.. كان همي اطلع برة وبس.. كنت بمشي على جمر.. الأرض سخنة.. والحجار مملية البيت.. سمعت حدا بيصرخ وبيطلب المساعدة.. شفتو كان عالارض.. ساعدني ضو القمر على الرؤية.. قربت منو.. كان عم جوزي (علي وهدان) شفت رجليه مقطعات.. خفت كتير على أولادي.. أخذتهم وجريت برة للشارع..حطيتهم جنب حيطة.. ورجعت للبيت.. حاولت المساعدة.. وانا راجعة شفت حماي (حاتم وهدان).. كان ممدد عالارض وعندو ابنه زكي بيحاول إنقاذه.. كان بيقول له: (ما

تموتش يابا.. بدي أجيب الاسعاف وأجي).. قام حماي.. هز رأسو.. ودار وجهو.. ومات!! كانت حالتو صعبة جداً.. رجليه مقطعة.. بعيدة عن جسمه.. مليان دم.. بكيت بشدة.. وكان جسمي بيرتعش من الخوف.. ما عمري شفت هيك منظر.. يااللّه مات عمي.. كان منظر قاسي.. كان بيعاني من مرض سرطان الكبد والرئة.. راح مصر وراح إسرائيل وكان بينتظر ليروح مصر كمان مرة.. لكن اللّه احتسبه شهيد..

رحت غرفتنا.. شفت مرت عم جوزي: سنيورة ممددة على الأرض.. كانت جثة هامدة.. أختي جميلة كانت مصاوبة.. وبناتها: نور الهدى ورايقة كمان.. نور الهدى كانت ما بتتحرك.. رايقة كانت محروقة.. كان الكل مصاب.. ووصلت الاسعافات وبدأت بنقلهم لمستشفى كمال عدوان.. رحت مع أختي في الإسعاف.. في المستشفى صاروا يعالجوا فيها.. كانت تقول للدكاترة: سيبوني أنا منيحة.. وكأنها كانت عارفة أنها مفارقة.. مسكت ايدي وطلبت مني أقرب منها وقالت لي: إذا استشهدت ديري بالك على بناتي.. ما كانت اختي بتعرف أنو بنتها نور الهدي استشهدت.. ما تحملت.. بكيت بشدة...

عائلتي لاحقها الموت من بيت لبيت ومن منطقة إلى أخرى، لا أدري ما ذنب اثنى عشر شخصاً قتلوا جميعهم، أطفال ونساء وشيوخ، كانوا أهدافًا لجيش الاحتلال، أهتم بابنة أختي: رايقة الآن، كما أهتم بأطفالي، لأنها أمانة أوصتني بها أختي قبل استشهادها.

واليوم نحن مشتتين، مهجرين قسرياً، لا يوجد منزل يأوينا، ولا حتى عمل لزوجي أو اخوته، فقد جرفت الأراضي التي كانوا يعملون بها، ودمرت خلايا النحل التي كانوا يهتموا بها، وحتى محصول هذا العام من العسل ضاع تحت ركام منازلنا، نعيش في بيت مستأجر ذا مساحته صغيرة، ست عائلات تقطنه، والبقية عندكم.

"ما راح أتركككم تموتوا.. ومات"

"ما راح أترككم تموتوا.. ومات"

نهى عياد تبلغ من العمر ٣٠ عامًا، متزوجة من رامي فتحي عياد ٣٣ عامًا، لديها طفل، تسكن وأسرتها في شقة لزوجها، في حي الشجاعية، شرق مدينة غزة.

فقدت نهى، زوجها وطفلها، أثناء محاولتهم الفرار من الموت في حي الشـــجاعية، وهم: زوجها رامي فتحي عياد ٣٣ عامًا، وطفلها الوحيد محمد عامين ونصف.

تروي نهى مأساتها، وهي جســـد ملقًا على سرير، لم تترك الشـــظايا جزءًا منه إلا اخترقته، تحدثنا بحرقة عما جرى لهم، وتكاد دموعها لا تنقطع، فتقول:

يوم السبت الموافق ١٩/٧/٢٠١٤، عند حوالي الساعة ٦:٣٠ مساءًا، بعد الإفطار وصل إلينا أقاربنا يسكنون بالقرب من المنطقة الحدودية، قالوا اخرجوا من البيت الوضع خطر، فانتظرنا حتى صباح يوم الأحد الساعة ٦:٣٠ صباحًا، بدأنا نحضر أنفسنا لمغادرة البيت وخرجنا دفعات حتى لا نصـــــاب جميعًا، خرجت أول مجموعة، وكنت في المجموعة الثانية سمعنا أصوات تتعالى تطلب منا مغادرة المنازل لشدة القذائف، خطفت ابنى من سريره وألقيت عليه بفوطته وحمله والده على الفور، كنت أنا وزوجي رامي فتحي عياد ٣٣ عام، وأخيه أحمد ٣٥ عام، وأخته شـيرين ١٨ عام متزوجة منذ سـبعة شـــهور ومعها زوجها، والناس كلها تجري من كل مكان، سبقنا زوجي رامي بخطوات يجري وهو يحمل ابني بين يديه، و فجأة سقطت علينا قذيفة أصابتني أنا وأخته شيرين وأخيه أحمد فســـــقطنا على الأرض.. "صرخت بأعلى صوتي من الألم، ولم أستطيع الوقوف على قدمي"، ناديت على شيرين، فرددت أنين، سألت أحمد هل أنت بخير؟ رد عليّ: "أنا اسمعك ولكن يدي قطعت".

حين ســـمع رامي صـــراخي رجع لنا، فقلت له: "اتركنا وخذ ابننا واهرب من المكان على الفور" رفض وقال: "مش راح اترككم تموتوا".. وصار يصـــرخ: "الحقونا ساعدونا"، "إسعاف.. إسعاف" وجميع من في الشـــارع يجرى ولا أحد يلتفت وراءه، نقلنا لجانب الحائط ليبعدنا عن الطريق ويحمينا من القذائف.

وتنفعل بحدة وبصـوت عالي مليء بالألم والعتاب لزوجها: "ما رد عليّ .. قلت له اتركنا وامشـي خذ الولد واهرب .. ما رد علىّ"، مر من الوقت تقريبًا نصـف ساعة وفجأة وإذ بانفجار آخر أصابنا جميعًا، حينها سمعت صرخة طفلي، ولم أرى زوجي وأصبت بإصابات متفرقة في جســـمي وجنبي اليمين والظهر وشظايا في الأمعاء، ورأيت شيرين "أمعاؤها خارج بطنها"، ورأيت يد أحمد وقد بترت وينزف ورأسه مليء بالدماء، سواد غطي المكان، والناس تجري من فوقنا، خفت حدة قصـــف القذائف، حمل شباب من العائلة من فيهم الروح حتى مدرسة المنصورة، ثم أخذونا بسيارة مدنية لأول الشـارع لمكان الإسعاف ونقلنا لمستشـفى الشـفاء ودخلت العمليات. بعد خروجي من العملية كلمني زوجي على الجوال في نفس اليوم مسـاءًا بصـوت ضعيف وأخبرني أنه قريب مني في المستشفى والجميع بخير، لم يكمل مكالمته من شدة الألم نتيجة إصابته بشظايا في بطنه، وأخذ أخوه الهاتف وأكمل المحادثة

ليطمئنني عليه ، وفي صباح اليوم التالي أجروا له عملية و في الصباح عملية ثانية واستشهد في المساء كما أخبروني.
تصمت برهة وتلتفت لقدمها وجروحها وكأنها تذهب بعيداً لتتذكر ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم الذي حصد أهالي الشجاعية دون رحمة ولا شفقة:
سألت عن ابني قالوا: أنه بخير، قلت: سمعت صوته صرخ حين سمعت صوت الانفجار الثاني، قالوا نعم وبخير لا تقلقي. قلت: فأين هو ليس معكم؟؟؟ خذوني عنده .. قالوا أنتِ لا تسطيعين المشي.. قلت: إذن أحضروه لي كي أراه..
فبدأت أمي تتحدث معي وتستخدم مصطلحات تدل على موت الأطفال، ابنك عصفور من عصافير الجنة، الحياة أمامكم وتقدروا تنجبوا غيره أنت وزوجك، كان زوجي لم يستشهد بعد، وفي النهاية هو عند اللّه عصفور جنة.. ابنك فارق الحياة وهو بطريقه للمستشفى في حضن إحدى نساء العائلة.
صرخت بأعلى صوتي: يا قلب أمك يا محمد .. يا طفلي المدلل .. يا أملي وحياتي وربيع عمرى مش راح أشوفك ثاني.. مش راح أخذك في حضني .. لن أداعب أناملك الصغيرة وأتلمس شعراتك الرقيقة .. مات الولد!!!!!
وتخرج من قلبها تنهيدة: سألت عن زوجي أين هو، كلمني على الهاتف وبعدها لم أسمع صوته، ولا أحد يجيب.. وحين أكرر السؤال.. يقولوا في العناية المركزة.. أي عناية كلمني في مساء نفس اليوم.. ولماذا في العناية المركزة.. هل حالته خطيرة؟ عندي احساس بأن هناك شيء يخفوه وأي شيء، أكيد ما أفكر فيه نتيجة ما حدث ولا داعي للتشائم، زوجي بخير وكلمني بعد الحادث.
استمر الحال حتى ثمانية أيام قضيتها في مستشفى الشفاء تم نقلت إلى مستشفى القدس بغزة، كل شيء غامض "العناية المركزة وأنتِ في مرحلة علاج"، لا تستعجلي زيارته حتى يشفى، "أسبوع آخر في مستشفى القدس زارني أخوه سألته بإصرار ودموعي تحتبس في عيناي، فقال الليلة ان شاء اللّه توضح الأمور ..
آه ... لإجاباتهم .. احساسي بأن هناك شيء غامض.. أحاول أبعد الأفكار المتشائمة من خيالي.. إلى أن كلمني أخي على الهاتف وأنا أجهش بالبكاء واعتقد أني علمت بوفاته وأخذ يخفف عني بأنه شهيد، حذفت الهاتف على الأرض وصرخت من فجيعة الخبر الذي كذبه إحساسي، شعرت أن حياتي انتهت بوفاة زوجي وابني.
تدهورت حالتي الصحية ونقلت لمستشفى المقاصد في القدس للعلاج وعدت مرة أخرى إلى غزة طلبت أن أعود لبيت والدي، ألقي بنفسي على السرير مقيدة بأسلاك حديدية في رجلي.. وجروح في بطني وجانبي الأيمن وأصبحت حبيسة الفراش مفارقة أحبابي .. فليس هناك أغلى من الابن والزوج، هاجرة بيتي .. وكيف سأعود لبيت مليء بذكريات زوج وطفل كانوا كل حياتي .. لم يعد للحياة معنى ..
وأعيش الآن في بيت أهلي بعد أن فقدت أغلى ما لدي، مأساتي أكبر من الجروح التي أصبت بها من القذائف رغم أني لا أتحرك من سريري، وقدمي الشمال يحتجزها قضبان من البلاتين مربوطة في قدمي تمنعني من الحركة لحين شفائي وجروح متفرقة بجسدي النحيف أكثر ألمَا.

"اللقاء الأخير"

30

"اللقاء الأخير"

عصـــام مصـــطفى جودة، يبلغ من العمر (٤٨) عامًا، متزوج من راوية إبراهيم الور (٤١) عامًا، يســـكن في منطقة تل الزعتر بجباليا، ويعمل مدير وحدة الشكاوي في وزارة الاتصالات، ولديه ثمانية من الأبناء، بينهم خمسة ذكور هم، مصطفى (٢١) عامًا يدرس الطب في جمهورية مصـــر العربية، عبد الباري (١٨) عامًا، ثائر (٩) أعوام، محمد (٧) أعوام، أسامة (٦) أعوام، وثلاث إناث، رغد (٢١) عامًا، تسنيم (١٣) عامًا، رهف (١١) عامًا.

يروي لنا أبو مصـطفى الجريمة التي اقترفتها قوات الاحتلال بحق عائلته، قائلًا: عدت لمنزلي الكائن قرب مسـجد الشـورى في منطقة تل الزعتر بجباليا، عند حوالي الساعة ٤:١٤ من عصر من يوم الأحد الموافق ٢٤/٨/٢٠١٤، في ظل العدوان الذي تشنه قوات الاحتلال على قطاع غزة والذي تسميه بالجرف الصـامد، وجدت زوجتي راوية وأولادي (ثائر، محمد، أسامة، تسـنيم، رغد، رهف) يجلسون بين أشجار وأزهار حديقة المنزل الواقعة في الجهة الشمالية منه، وابني عبد الباري كان في بيت خالته منذ أيام، جلست معهم، تبادلت وزوجتي وأولادي أطراف الحديث لكي أطمئن عليهم في ظل هذه الأجواء العصـيبة، بعد ذلك دخلت البيت فتبعتني ابنتي رهف إلى الداخل، ثواني معدودة سمعت صوت انفجار ضخم.. وشاهدت الدخان يتصـــاعد بكثافة من الحديقة.. شـــعرت بطنين في أذني ولم أعد أســـمع بها، نظرت حولي لا أعرف ما الذي جرى.. لقد طار الباب الداخلي للمنزل من مكانه.. فوجئت بطفلتي رهف تحتضـنني بشـدة وترتجف من شدة الخوف.. ولم أستطع السـيطرة عليها.. حضـنتها بقوة وتحسـست جسـدها الصـغير لكي تشـعر بالأمان وبهدف الاطمئنان عليها.. قلت لها: لا تخافي.. طلبت منها البقاء في الغرفة.. خرجت إلى الحديقة لأتفقد عائلتي.. صعقت لما رأيت.. لم أكن أتخيل أن أجد كل أفراد عائلتي جثثًا مقطعة.. نظرت حولي.. لا شـيء سـوى الجثث: زوجتي، أبنائي، حتى حديقة منزلي كلها ركام.. الأشـــجار والزهور لم تعد موجودة.. تفقدهم واحد تلو الآخر.. كلهم أموات.. بدأت أحدث نفســـــي: "كل هذي جثث.. شو بدي أسوي.. بمن أبدأ؟ زوجتي كانت ممددة على الأرض جثة هامدة وكل أطفالي حولها.. محمد كان رأسه فارغًا من الداخل ولم يتبقى من رأسه إلا جزء بســيط.. رغد كان رأسها مقطوعًا.. فجأة سمعت صوت أنين.. تعقبته.. كان لثائر.. نادى عُلي لأنقذه.. بدأ الأمل يدخل قلبي.. هناك مصـــابين.. أسرعت تجاهه.. كان وجهه ملئ بالغبار وباقي جسده ينزف دمًا.. حملته.. شاهدت يداه وساقاه تتدليان وكأنها دون عظام.. لا يغطي جسمه إلا جلده فقط.. حملته بحذر شديد وخرجت به إلى خارج البيت ووضعته بجوار الباب الخارجي.. حيث شـاهدت الجيران يقتربون.. حملوا ثائر بينما عدت إلى داخل المنزل.. شـاهدت طفلتي رهف تقف أمام الجثث وتنظر لأمها وأخواتها.. أسـرعت ووضـعت يداي على عينيها وحملتها وخرجت بها من البيت.. بينما بدأ الجيران بالدخول للمنزل.. سلمت رهف لأحد الجيران وطلبت منه أن يهتم بها لحين عودتي..

كانت رهف تبكي بشـــــدة وترتجف من الخوف.. قلت لها: لا تخافي.. حاولت أن أطمئنها أن أمها وإخوانها بخير وأني ذاهب إليهم لمساعدتهم.. عدت مرة ثانية إلى داخل المنزل.. فلم أجد أحداً لأن الجيران كانوا قد نقلوهم إلى المستشفى.. لحقت بهم إلى مستشـــفى العودة.. وفي قســـم الاستقبال سمعت صوت ابني ثائر وهو يناديني.. أسرعت إليه وقلت له: لا تخاف.. كان الأطباء حوله يحاولون إسعافه.. وعندها طلب مني أن يشرب ماء.. أشربته.. تركته بين أيدي الأطباء ليساعدوه.. جلست أنتظر.. عندما انتهوا سئلت الطبيب عن حالته.. طمئنني عليه.. بحثت عن بقية عائلتي.. شاهدت أسامة.. كان مستلقي على السرير.. فذهبت اليه بســـرعة لأراه.. نظرت اليه.. شاهدت أقســـى منظر أراه في حياتي.. كانت دماغه خارج رأسه.. وصدره مفتوحاً.. وظهره مفتوحاً.. احتضـنته بشـدة.. قبّلته.. بكيت بشـدة.. أسامة كان لطيفاً جداً.. نظرت إلى السـرير المجاور شاهدت جثماناً مغطي بالكامل.. شعرت أنها زوجتي.. رفعت الغطاء عن وجهها لأرى وجهها.. كانت مبتســـــمة وكان لقاءنا الأخير.. لقد كانت صائمة واستشهدت صائمة.. قلت لها: "حتى إنتي تركتيني"..

ودعت زوجتي.. وبدأت أسأل من حولي بالمستشـفى عن باقي أفراد عائلتي.. فأخبروني أنهم موجودين في مسـتشـفى كمال عدوان.. سألت عن حالتهم الصحية.. لم يجبني أحد.. بدأ كل من كان بالمسـتشـفى بمواساتي.. وكانوا يحتضـنوني ويضـعوا أيديهم على كتفي.. ويطلبوا مني الصـبر والسـلوان.. لأنهم كانوا يعلموا بمصـير باقي أفراد عائلتي ولا أحد يريد أن يخبرني.. استوعبت الأمر.. وعرفت أن كل أفراد عائلتي استشـهدوا.. ذهبت إلى مسـتشـفى كمال عدوان وسألت موظف الاستقبال عن أطفالي: وين المصابين اللي وصلوا قبل شوي؟ أجابني: ما في أي اصابات وصلت المستشـفى قبل شوي.. أيقنت تماماً أن الأمر محسوم.. ولا يوجد مفر من الحقيقة.. استشـهد أبنائي (محمد، تسنيم، رغد).. لحقوا بأسامة وأمهم.. كان عندي بقية من أمل.. لكنه تبدد.. طلبت من الأطباء أن يأخذوني إلى ثلاجة الموتى لكي أراهم.. لم يســتجيبوا لطلبي.. كنت أشعر بإحســاس غريب جداً.. كنت أشعر بالوحدة.. والمرارة.. أردت أن أرى أولادي وأحتضــنهم.. أقبّلهم.. تمنيت لو أني لم أدخل إلى البيت.. لو أني بقيت في الفناء معهم.. لو أني معهم الآن..

بدأ الأهل والأقارب والأصدقاء بالحضور إلى المستشـفى لمساندتي ومؤازرتي، ولكن دون أن أشعر تركتهم في المستشـفى، وبدأت أسير في المستشفى، إلى أن وصلت إلى فناء المستشفى بعيداً عن كل من كان يجتمع في المستشفى من دون أن أعرهم الانتباه. ثم جاء موعد الدفن وتشيع جثامين عائلتي، فذهبت أنا وأقاربي إلى الجامع لإنتظار الشـهداء، وصلت الجثامين، وضعوا جثثهم أمام شيخ الجامع ليصلي عليهم، بدأت أنظر إلى جثث عائلتي فرداً فرداً، وفي عقلي بدأت أعد جثثهم (واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمســـة)، بدأت أحدّث نفســـي "يا اللّه خمس جثث اللّه أكبر ما هذا الظلم".. زوجتي.. أولادي جثث هامدة أمامي.. كلهم يلتفون بكفن أبيض وسأصلي عليهم.. وبعد دقائق سوف أقوم بدفنهم جميعهم تحت التراب.. كان المنظر صعب جداً.. صبرت.. واحتسبت.. وتحملت.. في المقبرة وضعت أسامة إلى جوار أمه في قبر واحد.. لأنه كان الأصغر.. والأقرب لها.. والأحب إليها..

بعد انتهاء مراسم الدفن ذهبت إلى مستشفى الشفاء لمتابعة حالة طفلي ثائر، هناك أجرى له الأطباء عملية جراحية استمرت

(٥) ساعات، جلست أنتظر انتهاء العملية، كان أقاربي إلى جواري، طمأنني الأطباء بأن وضعه جيد، وأنه بخير، ولكني من الداخل كنت أغلي، خفت أن أفقده، قلت للأطباء أن يخبروني عن وضعه الصحي بصدق وحتى إن كان الخبر مزعجًا، قلت لهم: قولوا لي لا تخاوفوا كل عائلتي استشـــــهدت فلن يتوقف على ابني ثائر... أخبرني صديق مقرب استطاع دخول غرفة العمليات أنه بخير، ولكن ساقه اليمني بحاجة للبتر، قلت له: المهم أنه بخير، وما زال على قيد الحياة، وافقت على بترها، واطمئن قلبي قليلًا، وقلت: أن تبتر قدمه أفضـــل من أن يســـتشـــهد ويتركني، وبع ذلك خرج ابني ثائر من العمليات وكان وضعه جيد، وذهبت لأراه بعد العملية، ولكن وجهه كان ملئ بالشـــــظايا وكان منفوخًا من آثارها، وكان صعب التعرف على ملامحه، وكان جســـــده مليء بالشظايا.

بعد عدة أيام قررت المستشفى أن يتم استكمال علاج ثائر في الخارج وأن ينقل إلى ألمانيا لتقلي العلاج المناسب هناك، فسافر ابني ثائر إلى ألمانيا بتاريخ ٧/٩/٢٠١٤ بصحة جيدة، وهناك بتر أصبع من يده اليمنى، وركب في يده اليسرى بلاتين مساعد، وبتر جزء آخر من ساقه اليمنى الذي تم بترها قبل السفر. لم يعرف ثائر مصير أمه وأخوته، وكل ما كلمني كان يسألني عنهم فكنت أتهرب من الإجابة.

ما جرى مع عائلتي أتذكره كل لحظة في كل يوم، أسرح بخيالي بعيداً وأتذكر عائلتي الصـــــغيرة الجميلة، أتذكر أولادي الذين أحبهم جميعًا حتى أني لم أكن أفرق بين أحد من أبنائي، كنت أعمل لأجلهم ولأجل حياتهم، وكانت حياتي ووقتي ومســـتقبلي مكّرس لهم لأجل تأمينهم في الوقت الحالي وفي المستقبل. وعندما أستعد للخروج وأقوم بتحضير ملابسي، أتذكر زوجتي لأنها هي من كانت تحضر لي ملابسي يوميًا هي كانت زوجتي وأمي وأختي وحبيبتي وأم أولادي، هي كانت نصفي الآخر كانت علاقتي فيها راقية جداً، كانت مبنية على الحب والتفاهم، كانت ترعاني وترعى أولادي بشكل يفوق الوصف، كانت تقية قريبة إلى اللّه، حتى أنها يوم ما استشـــهدت كانت صائمة، كانت دائماً تصـــلي قيام الليل وكانت تدعي لي دائماً، وأنا أعلم ومتأكد أن دعائها ليُّ هو سبب توفيقي بحياتي، أني أفتقدها بكل تفاصيل حياتي، أنا الآن لم يتبقى من أولادي سوا مصطفى (وهو يدرس بالخارج)، وعبد الباري، وثائر، ورهف (التي تسكن الآن عند خالتها التي تحبها لتعوضها حنان الأم ولو بجزء بسيط) وأنا أجلس الآن عند أختي الصـــغيرة وهي متزوجة وحنونة جداً وقريبة من قلبي هي من ترعاني وتهتم بي. سأعود إلى منزلي رغم الحزن الذي يضمه بعد أن أرممه، سأجمع أبنائي من جديد لنعيش كأسرة واحدة مترابطة، نعيش على ذكرى من استشهد من عائلتي. وكل ما أطلبه من اللّه أن يلهمني الصـــبر والقوة لاستكمال حياتي، وأن أساعد أبنائي في حياتهم بأن يبدؤوا صفحة جديدة بعد هذه المأساة التي عشناها، وأن أكون لهم قدوة حسنة بكل مجالات حياتهم.

عدسة/ياسر قديح

العكاز رفيقي

36

العكاز رفيقي

سحر ضهير سيدة تبلغ من العمر ٤١ عامًا، متزوجة وتسكن مع عائلة زوجها في منزل مكون من أربعة طبقات، يقع البيت في منطقة مصبح، الواقعة شمال شرق مدينة رفح.
فقدت السيدة سحر سيدتين من عائلتها هن ابنه خالها السيدة كرم ضهير ٢٧ عامًا وكانت تعمل ممرضة في المستشفى الأوروبي، وابنة عمها السيدة سمية ضهير ٥٠ عامًا.
وأصيب ١٣ شخصًا من عائلتها ومن بينهم السيدة سحر التي أصبح العكاز رفيقها بالحياة بعد إصابتها في القدم وعدم قدرتها على الحركة والمشي بشكل طبيعي، وأختها أسين ضهير البالغة من العمر ٢٧ عامًا والتي أصيبت إصابة بالغة في ظهرها وأفقدتها الحركة بشكل كلي وصعوبة في النطق.

تحدثنا السيدة سحر عما حدث لها ولعائلتها من جريمة أودت بحياة سيدتين، وإعاقة سيدتين، وإصابة ثلاثة أطفال، ومسنة، وأربعة نساء ورجل وهم: (حاكمة ضهير ٦٥ عامًا زوجة خالها وصاحبة البيت المستهدف، راجح ضهير ٣٣ عامًا ابن خالها وزوجته كريمة ضهير ٣٠ عامًا وابنته عزة ضهير ٥ أعوام، إيمان ضهير ٢٠ عامًا ابنة خالها، ومكرم ضهير ٤٤ عامًا ابنة خالها).
بدأت سحر تروي لنا ما حدث لهم والحسرة والحزن يملئان وجهها:
ليلة النصف من رمضان كان التاريخ ١٣/٧/٢٠١٤ وكان تقريبًا اليوم السابع للعدوان، قررت أنا وزوجي ترك بيتنا ولجأنا لبيت خالي الذي لا يبعد كثيراً عن بيتنا ولكنه في منطقة داخلية ومحاط بالمنازل، فشعرنا أنه سيكون آمن أكثر من بيتنا كونه مكون من أربعة طبقات ومحاط بأراضي زراعية تتعرض للقصف بين الحين والآخر، وكان بيت خالي يعج بالنازحين حيث بلغ عددنا ما يقارب ٢٥ شخصًا (أنا وزوجي، عائلتي، أختي سمر وزوجها، عمي وعائلته، وبنت خالي كرم وزوجها، خالتي وبناتها)، عددنا كان كثيراً نساء وأطفال ورجال، ولكننا كنا نشعر بالأمان كوننا متجمعون مع بعضنا البعض على الرغم من الخوف الشديد نتيجة القصف المستمر وصوت انفجارات القذائف الدائم.

يوم الاثنين الموافق ٤/٨/٢٠١٤، تقريبًا حوالي الساعة ٦:٣٠ مساءً، كنت أعاني من صداع شديد، فذهبت لأستريح قليلاً، خصوصًا أنني كنت لا أستطيع النوم ليلاً من شدة أصوات الانفجارات، ذهبت لإحدى الغرف في البيت فجاءت لتجلس معي أختي أسين ٢٧ عامًا وابنة عمي سمية ٥٠ عامًا، وغفوت خلال حديثي معهن، وفجأة وجدت نفسي جالسة وشعرت أن الغرفة كأنها عبارة عن خلاط أسمنت مليئة بالغبار والردم والحجارة ولم أستطيع رؤية شيء، حاولت أن أقف فم أستطيع ولم أعرف حينها ما

السـبب، بدأت بالزحف فوق الركام المتناثر ووصلت إلى الصـالون زحفًا، وشعرت كأن الوقت ما بين الغرفة والصـالون استغرق مني ساعات، لا أعلم ماذا حل بي جسدي كان ثقيلاً جداً، حين وصلت الصالون كانت نار تشتعل فيه ولمحت ابن عمي راجح وابنته عزة تمسـك به، وحاولت أن أنادي عليهم ولكني لم أسمع صوتي حينها، ورأيت ابن عمي يشـاور لي بيده بأن أخرج من البيت، وكانت زوجة خالي حاكمة ٦٥ عامًا تجلس على الكنبة وتقترب منها النيران وتحاول أن ترفع شعرها بيدها لكي لا يحترق.
واصلت الزحف حتى وصلت إلى الباب الخلفي للبيت، فقابلت الجيران يحاولون الاقتراب من البيت، فقاموا بنقلي إلى جانب حائط وذهبوا للبيت للمساعدة.

وصلت الاسعافات ونقلت إلى المسـتشـفى الأوروبي، وكنت أنزف دمًا من أجزاء متفرقة في جسـدي وأنا لا أعلم أين اصابتي، قدموا لي العلاج في المستشفى وكانت اصابتي شديدة في قدمي، وبدأت أسئل عمن كانوا بالبيت، فعلمت أن أختي أسين وباقي المصابين نقلوا لمستشفى ناصر بمدينة خانيونس، وبقيت بالمستشفى لأن الأطباء قالوا أن هناك تهتك في أوتار القدم، وبعد يومين علمت بوفاة كل من كرم ابنه خالي ٢٧ عامًا وابنة عمي سـمية ٥٠ عامًا، وأن أختي أسـين حالتها حرجة جداً وفي العناية المركزة، وبعد أربعة أيام من دخولنا المستشـفى نقلت أسين لمسـتشـفى (مار يوسف) في القدس وأبلغتنا أمي أنه فور وصولها خضعت لعملية جراحية استغرقت ستة ساعات، وبعد الانتهاء من العملية أبلغ الأطباء أمي أن أسين تعرضت لإصابة أدت لتهشيم فقرتي عمودها الفقري الحادية عشر والثانية عشر، وقطع في الحبل الشـوكي، مما أدى لإصابتها بشـلل كامل، وعدم قدرتها على الحركة كليًا، وبعد إفاقتها عرفت بما حدث لها فقدت أسين النطق وتم تقديم العلاج والدعم النفسي لها لمدة شهرين والآن هي حبيسة الكرسي المتحرك وتتحدث بصعوبة.

أما إصابتي فخلفت لي إعاقة جزئية في حركة القدم وأصبح العكاز رفيقًا لي بعد خضوعي لثلاث عمليات خلال فترات متقطعة.
تصمت سحر وتنظر بعيداً وكأنها تستعيد ذكرايتها، تنهدت ثم قالت قبل تعرضنا لهذا الحادث كنت أعمل على الانتهاء من رسالة الماجستير وأتحضر للمناقشة، ولكنني بعد الإصابة أشعر أن كل شيء تغير في حياتي، لم أستطيع حتى هذه اللحظة ولي الآن أربعة شهور مصـابة العودة لمنزلي لأن بيتي في الطابق الرابع ببيت عائلة زوجي وأنا لا استطيع صعود الدرج، مسـتقبلي ضاع فقدت كل شـيء، على الرغم أنني في لحظات كثيرة أغمض عيوني وأتخيل أن ما حدث لم يحدث وأنني في بيتي وعائلتي بخير وانتهيت من مناقشـة رسالتي وأحضـر للدكتوراه، وعندما أفتح عيوني أعلم جيداً أن كل هذا أحلام لن تتحقق، لقد دمروا مستقبلي ومستقبل أختي وقلبوا حياتنا رأساً على عقب.

"حتى لا أزعج الشهداء"

40

"حتى لا أزعج الشهداء"

نداء النجار تبلغ ٢٥ سنة متزوجة ولديها بنت تبلغ من العمر ٤ سنوات، تسكن في شارع خالد بن الوليد منطقة الشيخ ناصر التابعة لبلدية بني سهيلا، في بيت عائلة زوجها.
فقدت نداء ١٩ فرداً من عائلتها، لحقوا بمن سبقهم من عائلة النجار في خزاعة، ومنهم من هرب من بيته عله ينجوا وأسرته من الموت ليلحق بهم ويحرقوا بنيران أسلحة الاحتلال الاسرائيلي، وهم : والدها سمير حسين محمد النجار٥٨ عاماً، ووالدتها غالية محمد أحمد النجار٥٦ عاماً، وإخوانها: ماجد ١٩ عاماً، وكفاح ٢٤ عاماً، وإخلاص ٣٠ عاماً، وأبناءها الثلاثة، وهم: (أمير ٣ أعوام ، وإسلام ٤ سنوات، وأميرة سنة)، وزوجة أخاها حسين ريهام فايز النجار (أبو جامع) ٢٥ عاماً، وهي حامل، وأبناءها: سمير عام ونصف، ومعتز٦ أعوام، وزوجة أخيها محمد (إيمان صلاح محمود النجار (الرقب) ٢٣ عاماً)، وهي حامل في الشهر التاسع وأخرجوا وليدها منها وأسموه محمد واستشهد بعد يومين، وطفلتها غالية محمد سمير النجار عام ونصف، وأختها براءة صلاح محمود الرقب١١ عاماً، ومن جاءوا من خزاعة طلباً للحماية ولجأوا لبيت أهلها بعيداً عن أحداث خزاعة: استشهد خالها خليل محمد أحمد النجار ٦٠ عاماً، وأولاد خالها خالد: (روان١٨ عاماً، وأحمد ١٤ عاماً)، وزوجة خالها سليمان سمية حرب النجار (أبو يوسف) ٣٧ عاماً، وابنها هاني سليمان محمد النجار٧ أعوام.

تروي لنا نداء، أحداث ذلك اليوم الأسود الذي أقل ما يمكن وصفه به بأنه يوم الابادة الجماعية، تروي لنا قصتهم وكأنها ما زالت لا تصدق ما حدث، فتقول :
قبل الحدث بيوم وعند حوالي الساعة ٥:٠٠ فجراً قصفت المنطقة، كما قالوا بصاروخ من طائرة استطلاع على أرض مزروعة بأشجار الزيتون تبعد عن منزل أهلي ٣٠ متر، وعند الساعة التاسعة صباحاً جاءت أمي إلى عمتي (حماتي)، لتعزيها بوالدها المسن محمد النجار عمره١٠٥ سنة، الذي استشهد في خزاعة، وعند خروجها وقفت عند الباب ونظرت للمكان وكأنها تودعه وتودع كل زاوية فيه.

ذهبت معها حتى الباب الخارجي وسألتها: أين سقط الصاروخ بالأمس، قالت: ضرب بأرض أبو حاتم، وتكسرت عندنا الشبابيك قلت: ليكون تحذيري، اتركوا الدار، قالت:" ليش نطلع ما فيه شيء نخاف منه ومنطقتنا آمنة".

يوم الجمعة الموافق ٢٥/٧/٢٠١٤، أعدت والدتي الإفطار للصائمين، وبعد الإفطار زرت بيت أهلي الذي لا يبعد عن بيتنا ١٠ أمتار فقط، مكون من ثلاث طوابق وفيه مطبخ خارجي ومزرعة دجاج خارجية وأخرى فوق سطح المنزل، ويعج بالهاربين من

منطقة خزاعة: أخوالي سليمان وخالد وزوجاتهم وأولادهم وأختي إخلاص وأولادها أمير وأميرة وإسلام وأخت زوجة أخي، وخالي خليل نقل أغنامه من خزاعة لمنطقتنا خوفًا عليهم إلى مكان قريب من بيتنا حتى يرعاهم وترك زوجته وأولاده في خانيونس.
سألتني أمي: ما بك؟، قلت لها: تعبانة، قالت لي: الوضع آمن لا تخافي، قلت: قلبي مقبوض، ولم أكن أعلم ما سيحصل، سألتها عن أخواتي غدير وريم، قالت: عند أختك هناء في خانيونس لأنهم شعروا بالممل واعتادوا الذهاب إليها كل أسبوع. قدمت لي خوخ وعنب وقالت: كلي رفضت، قلت حاسة انك راح تموتي قالت لي: أحسن، أموت شهيدة.

الجميع سهران ومبسوط باللمة، وكان خوفي أن سهرتهم الجميلة، تقلب لحزن، قمت لأغادر المكان قال لي والدي: بدري، وقفت عند الباب وكأني أودع أهلي كل ما خرجت أعود، وغادرت، عند الساعة الثالثة إلا عشر دقائق فجرًا اتصلت على أمي وردت عليّ، فسألتها: تسحرتي، قالت: لا، قلت لها: تسحري، وقبل أن أكمل كلامي انقطعت المكالمة.. لم أسمع صوت صاروخ كما تعودنا، سمعت صوت مختلف وحجار تتساقط وتضرب المكان، صرخت يمه.. يمه.. ما ردت قلت بيت أهلي.. اتصلت عليهم مرة ثانية، يعطي (جوال مرحبا)، الجميع خرج من بيته والكل يعتقد أن بيته قصف، خلال لحظات بدأ الغبار الكثيف يدخل المنزل يحجب الرؤية والركام يتناثر، شعرت بالقلق وأخذوا مني الهاتف، فتحت بوابة بيتنا وجدت حجر كبير يغلق الباب، صرخت أهلي .. أهلي، دخلت الشارع شاهدت النيران تشتعل في المكان، صرخت: "أهلي ما حدى منهم نجي" ..
وفجأة..سمعت صوت يوسف النجار يصرخ: اللّه اكبر.. لقينا شهيدة.. لقينا شهيدة،على بعد ٢٠ متر من بيت أهلي حمل البنت في سيارته للمستشفى. وعاد مرة أخرى، حتى وصلت الإسعافات المكان.

تجهش في البكاء، وتحاول تمالك نفسها، تقول وصوتها يختنق في حنجرتها :
واستشهد كل من في البيت ١٩ فردًا ومولود أخرجوه من بطن أمه عاش يومين ثم توفي وجنين لم يكتمل، منهم خمس نساء وعشر أطفال: والدي سمير حسين محمد النجار، ٥٨ عامًا، ووالدتي غالية محمد أحمد النجار ٥٦ عامًا، وإخواني: ماجد ١٩ عامًا، وكفاح ٢٤ عامًا، وإخلاص ٣٠عامًا، وأبناءها الثلاثة، وهم: (أمير ٣ أعوام، وإسلام ٤ سنوات، وأميرة سنة)، وزوجة أخي حسين، (ريهام فايز النجار (أبو جامع) ٢٥ عامًا وهي حامل، وأبناءها: سمير عام ونصف، ومعتز ٦ أعوام)، وزوجة أخي محمد، إيمان صلاح محمود النجار (الرقب) ٢٣ عامًا وهي حامل في الشهر التاسع وأخرجوا وليدها منها وأسموه محمد واستشهد بعد يومين، وطفلتها غالية محمد سمير النجار عام ونصف، وأختها براءة صلاح محمود الرقب ١١ عامًا، كانت في زيارة لأختها، ومن جاءوا من خزاعة طلبًا للحماية ولجأوا لبيت أهلي بعيدًا عن أحداث خزاعة: استشهد خالي خليل محمد أحمد النجار ٦٠ عامًا، وأولاد خالي خالد(روان١٨ عام، وأحمد ١٤ عامًا)، وزوجة خالي سليمان سمية حرب النجار (أبو يوسف) ٣٧ عامًا، وابنها هاني سليمان محمد النجار٧ أعوام، وهما من عبسان الكبيرة. ولم ينج من المنزل إلا كل من خالي سليمان محمد النجار، وشقيقي حسين ومحمد.

سمعت ابن خالي يصـــرخ على أمي عمتي ..عمتي أم حســـين ماتت، ثم أخرجوا أخي ماجد، قلت: عايش، قالوا: صحته جيدة، ثم أخرجوا أختي كفاح، فكلما أنقذوا أحداً، كانوا يقولوا: بخير، سألوني من برفقة أهلك، قلت: أخوالي وزوجاتهم وأبنائهم واخوتي، انتشلوا جثمان أختي إخلاص وهي تحتضن ابنتها وجميعهم جثث.
نجا إخوتي: حسين٢٨ عاماً ومحمد ٢٢ عاماً، حسين عنده ٤ أولاد استشهد اثنين منهم: معتز وسمير والآخرين كانوا مع أخواتي في خانيونس، واستشهدت زوجته ريهام النجار وهي حامل في الشـهر الخامس. كما أخبرنا أخي حسـين أنه كان في البلكونة، رفض أن يتسحر فأعطته زوجته كأس العصير بعدها وجد نفسه يرتفع في الهواء ويسقط في بيت ابن عمي إبراهيم المجاور لبيت عائلتي.

تصمت للحظة، وتعود للحديث عن أمها: تقريباً عند الساعة السابعة صباحاً، في موقع غرفة أمي حفروا تحت الركام على عمق ١٥ متر في حفرة كبيرة، وانتشـــلوها هي وابنة خالي، أمي أمعاءها خارج بطنها، ورأسها مقســـوم، قالوا لي: لا تنظري على رأســـها، ســـقطت أمعاءها على الأرض لممتها وجريت على أمي وأعدتها على الحمالة، وروان ابنة خالي أشـــلاء ونقلوهم في الإسعاف .
وتنهمر دموعها وتجهش بالبكاء وتنظر للأطفال الأيتام الجالسين حولها، وتقول:
"أهلي كلهم راحوا أمي وأبي وإخوتي وأخواتي، لمن أبقى في هذه الحياة، "أشـــعر بالوحدة ما عاد لي أحد، ما فيه بعد حنان الأم والأب والأخوة والأخوات.
تكمل قصـــتها :" لحقت بهم إلى المســـتشـــفى، فتحوا ثلاجة الموتى حتى أتعرف عليهم، قال لي الدكتور: الرجاء تتعرفي على الشـــهداء بدون ما تصـــرخي، تعرفت على أبي وخالي خليل وابن خالي وزوجة خالي وخالي سليمان ومحمد النجار وإخوتي وزوجاتهم وأولادهم وحبست دموعي حتى لا أزعج الشهداء.

ثم قال أخي محمد: أنه لحظة القصـف كانوا يشـربون الشـاي، ويتحدثون عن شهداء عائلة النجار في خزاعة ويرتبون للذهاب لبيت العزاء صباحاً ودفن الجثث إذا حصلوا على تنسيق لإحضارهم ودفنهم في مقبرتنا. وفجأة شعر بشيء يسقط عليه ويده التصـــقت في الحائط، وكان يشـــد بيده ويصـــرخ: يا ناس تعالوا انقذوني، سمعوا صوته، سألوه: انت وين؟، قال: هناك فتحة صغيرة بجانبكم، رفعوا عنه الحجار بهدوء وانتشـــــلوه وكان وجهه ويديه محترقة، وحتى الآن الحروق تترك أثراً على وجهه، زوجته الشـــهيدة إيمان النجار (الرقب) عمرها ٢٤ سنة حامل وقد اقترب موعد ولادتها، وأخرجوا الجنين يتنفس وسموه "محمد"، لكنه مات، واستشهدت ابنتها الصغيرة غالية عمرها سنة وثمان شهور سميت على اسم أمي واستشهدت أختها براء الرقب.

خالي سليمان نجي من الضـربة كان يصـلي وابنه نائم بجانبه قال:" وقعت عيني على ابني وأنا بصـلي وبعدها شيء وقع على وجهي فلم أعد أرى شيئًا"، وطرت لقيت نفسي، وحرقت يديه وصدره واستشهد ابنه هاني وزوجته سمية النجار.

واستشهد خالي خليل كان هارب من القصف في خزاعة ومعه ٧ نعجات استأجر شقة لزوجته وأولاده في خانيونس، وأحضر معه أغنامه، يخشى عليهم أن يموتوا، وضعهم بعيد عن البيت وذهب لينام في بيت اخته واستشهد وترك زوجته وأبناءه وأغنامه.
واستشهدوا أولاد خالي خالد: روان وأحمد، تركوا والدتهم ووالدهم في بيت ابن عمي وجاءوا للمبيت عند والدتي "عمتهم"، وكلم أحمد أبوه على الجوال وقال له: أنا أحمد انقذني سأله انت وين؟، وقطع الاتصال وانتشلوه شهيداً من تحت الركام.

تنظـر نداء علـى أربعة أطفال أيتام يلتفون حولها وكأنهم أمانة ثقيلة ألقيت علـى كتفها! كيف تتعامل معهم وكيف تمنحهم الحنان الذي حرموا منه وتكفكف دموعها وتعود:
عدد تجاوز كل الحدود شهداؤنا ١٩ شهيد، منهم أربع نسـاء وفتاة و ١٠ أطفال، والآن أصبحت أمًا لأربع أطفال أيتام أخواتي: غدير ١٤ عامًا وريم ١٢ عامًا وأولاد أخي حسـين: حسـام وألفت بالإضافة لابنتي، أحاول أن أعوضهم ما فقدوه، وأحاول أن أحسـن حالتهم النفسية، ولكن صعب، أختي الصغيرة ريم تنام في حضن أخي حسين، محاولة أن تشعر بحنان أمي، وأخي عنده أطفال بيلعبوا معها، وأحاول أن أوفر لهم الراحة وأن أعوضهم بالحنان، أما غدير لا ترد ولا تسمع الكلام، وتفتعل مشكلة من لا شيء.

وأخي محمد يعيش في عالم ثاني، بعد أن فقد زوجته وأولاده لا يدخل البيت ولا يقترب من المكان المدمر، ودائما في بيت عمي وحالته النفسية سيئة.
هكذا أصبح حالنا بعد أن فقدنا أعز أحبابنا وترك في قلب كل منا جرح ينزف، لا أظن أننا سنشفى منه أبداً.

"صرنا عيلة معاقة"

46

"صرنا عيلة معاقة"

اسراء النملة سيدة تبلغ العشرين ربيعًا من عمرها متزوجة وأم لطفلين صغيرين، وتسكن في حي التنور في المنطقة الشرقية في مدينة رفح، تسكن مع عائلة زوجها المكونة من ١٥ شخصًا في منزل مكون من طبقتين.
تحاول إسراء الاعتدال في جلستها جيدًا على الكرسي المتحرك الذي لم تعتاد عليه بعد، وتمسك بيديها أطرافه وكأنها تحاول أن تأمن نفسها من خطر قادم، صمتت للحظات ثم بدأت حديثها قائلة: صباح يوم الجمعة الموافق ١/٨/٢٠١٤، سمعنا صوت قصف عنيف وأصوات قذائف تقترب من منزلنا وفجأة بدأت تتعالى أصوات الجيران يحثون بعضهم البعض على الهروب من المنطقة تفاديًا للمجازر الاسرائيلية كما حدث في الشجاعية وخزاعة، شعرت بالخوف وترددت كثيرًا بالخروج من منزلي وحين رأينا الناس تخرج من بيوتها خشينا البقاء في المنزل، بالفعل خرجنا من بيتنا حملت ابنتي عبير عمرها عامين وحمل زوجي وائل ٢٦ سنة ابني شريف ثلاث سنوات وحمل أخوه يوسف ٢٥ سنة ابنه الوحيد الطفل " قصي" عمره ثلاث شهور انجبوه بعد ٣ سنوات من الزواج وكانت معنا زوجته ولاء ٢٣ سنة وأيضًا أخوات زوجي نغم ١١ سنة وشهد ١٠ سنوات.

وصلنا شارع البلبيسي وفجأة سمعت صوت انفجارات وشعرت بنفسي أطير في الهواء وأسقط على الأرض حاولت أن أنهض ولكن ما قدرت نظرت فلم أجد قدمي الاثنين، حينها أدركت أنها بترت من الأعلى وشاهدت سلفتي أصبحت قطعتين بجانبي وزوجها يوسف ملقى بجانبها لا يتحرك وسمعت صوت انفجار عنيف آخر وشاهدت غبار كثيف انتشر بالمكان.
تتوقف اسراء عن الكلام وتترقرق عيناها بالدموع في حين تقترب طفلتها عبير منها تحاول جاهدة أن ترفع ابنتها الى حضنها وهي تجلس على كرسيها المتحرك .. تقول: الكراسي المتحركة أصبحت في كل مكان من البيت وكأننا معرض لكراسي متحركة .. وتتنهد بحسرة مضيفة جميع المؤسسات أهدتنا كراسي متحركة!!!!!
وتعود لتواصل حديثها: وصلت الاسعافات وتم نقلي في نفس الإسعاف الذي وضعت فيه "نغم" أخت زوجي، شاهدت رجلها مفصولة عن جسدها وبطنها مفتوح ومخها طالع، وصلنا لمستشفى أبو يوسف النجار، وبعدها لم أعلم ما حدث فقدت الوعي ولم أفق إلا وأنا في مستشفى ناصر بعد سؤالي للمحيطين أين أنا فأبلغوني أنني في مستشفى ناصر، وسألتهم عن أولادي وزوجي وعائلتي أخبروني أنهم بخير ولكن في المستشفى الاوروبي ويمنع أهل رفح من الوصول الى خانيونس، بعد يومين أحضروا ابنتي لأراها وكان وجهها محروق وقدميها محروقة ويداها بها جروح أما ابني وزوجي تم نقلهم بعد اسبوع من الجريمة البشعة التي دمرت حياتنا "يوم الخميس" من المستشفى الأوربي الى مستشفى ناصر أي بعد اسبوع.
تندفع بشدة لتعود بكرسيها الى الوراء وتتوقف عن الحديث ننتظر برهة كي تهدأ وتستعيد عزيمتها وتواصل حديثها: يوسف شقيق زوجي تبين أنه قتل على الفور أما زوجته ولاء شاهدتها وأنا ملقاة على الأرض بجانبي وقد قطعت نصفين تم تجميع

جسدها من مستشفيين وابنهم الوحيد الطفل قصي ٣ شهور الذي كان يحمله والده وجدوه وقد سقط على بعد ٥ امتار عن والده وأصيب بحروق بالغة وشظايا متفرقة في جميع انحاء صدره واحدة منها احدثت اصابات في بطنه كما قتلت "نغم" اخت زوجي في نفس الوقت وأصيبت أختها "شهد" بجروح وحروق في يدها ووجهها وقدمها كما أصيبت بشظية في الاذن أفقدتها السمع وتعاني الآن من حالة نفسية صعبة.

بين الفينة والأخرى كان يبدو على إسراء الانفعال الشديد ويتحشرج صوتها فتتوقف عن الحديث كانت كمن يستعيد مشاهد المأساة فيعايشها مرة أخرى، تنظر الى نفسها وتقول: "أصبحت رهينة كرسي متحرك" وتعود لتكمل فصول رحلة عذاب وآلام عاشتها في المستشفيات: في نفس اليوم الذي نقل ابني وزوجي به لمستشفى ناصر كان موعد تحويلي الى المستشفى الأهلي في الخليل .. رأيتهم للحظات وكانت المصيبة واحدة زوجي كما أنا اصبح معوقًا وبترت ساقه اليمنى وابني شريف ابن الثلاث أعوام بترت ساقه وفقد احدى عينيه "صرنا عيلة معاقة".

في مستشفى الخليل أخبرني الأطباء بأن الجنين الذي أحمله في بطني "متفتت"، خسرته هو الآخر، رغم أنه أثناء الفحص في خانيونس أخبرني الأطباء أن الجنين بخير. بعد ثلاث أيام من وجودي في مستشفى الخليل نقل زوجي وابني الى مستشفى المقاصد بالقدس واستمر علاجي في الخليل بعيدة عن زوجي وأولادي وما شفت ابني شريف حتى خروجه من المستشفى بعد ثلاث شهور. كنا نطمئن على بعضنا فقط من خلال الاتصال بالهاتف.

عدنا الى بيتنا في رفح لنكتشف أن الخسارة لم تكن فقط بأشخاص فقدناهم أو أجزاء من أجسادنا خسرناها ولا تشويهات تركت آثارها على أجسادنا.. طفلي الصغير شريف ابن الثلاث أعوام يرفض الاقتراب منى ومن أبوه ويتهمنا أننا السبب في قطع رجله وما أصابه بسببنا، وحين أخدوه لرؤية أبوه في المستشفى لم يعرفه وقال "هذا مش أبوية" وأنا لا يقبل عليً، ومتعلق بجده "شريف الكبير"، ولكن منذ أسبوع تقريبا بدأ الآن يقبل على أبوه لأنه يأخذه معه بالسيارة للفسحة. أما أنا لا يقبل علىً حتى اللحظة، ثلاث شهور كفيلة تنسيه أمه ويتهمها بأنها هي السبب. لما يحكي عن الحادث بيقول: " قصفونا ويوسف نزل منه الدم" شوية شوية بدأ يتذكر الأحداث ويحكي وحين المرور عن مكان الحادث يبكي ويرفض دخول الشارع الذي تم استهدافنا فيه.

فجأة تهرب بكرسيها وتترك المكان ... تتجه الى ركن آخر من المنزل وعينيها تمتلآن بالدموع وصوت يزداد حشرجة وكأنها تختنق لتجد جدة زوجها تشكي لها همها وعدم قدرتها على لملمة عائلتها الصغيرة وحاجتها للمساعدة من الآخرين، حتى زوجها أصبحت الحياة معه مستحيلة والعلاقات بينهم فاترة وخلافات زوجية تهدأ لتشتعل من جديد، لا يستطيع المحيطين بهم حلها، وضع نفسي مدمر ووضع اقتصادي يزداد سوءاً خاصة أن الشهيد يوسف وهو دكتور صيدلاني كان يعيل الأسرة والآن لا معيل..

تقول اسراء: لسه ننتظر انهم يعملولنا أطراف صناعية كما وعدونا ولكني متى ؟؟؟ لا نعرف!!!!

على قيد الحياة

50

على قيد الحياة

الفتاة: وفاء مصطفى اللوح (١٩) عامًا، تعيش مع والدها: مصطفي (٦٠) عامًا، ووالدتها: بثينة (٥٧) عامًا، وإخوتها: محمد (٢١) عامًا، مؤمن (٢٠) عامًا، وأحمد (١٨) عامًا، في بيت مسقوف بالأسبستوس في مدينة دير البلح في المحافظة الوسطى، ويسكن بجوارهم أخيها: رأفت (٣٠) عامًا، وزوجته: نبيلة (٢٨) عامًا- وهي حامل في شهرها التاسع- وأطفاله: مصطفى (١١) عامًا، ميسرة (٩) أعوام، وفرح (٦) أعوام.

عاشت وفاء أيامًا صعبة خلال عدوان الجرف الصامد، وبينما كانت تنام في غرفتها عند حوالي الساعة ٤:٣٠ من فجر يوم الأربعاء الموافق ٢٠/٨/٢٠١٤، استيقظت فجأة على صوت تساقط شظايا وحجارة جوارها وسمعت تحطم زجاج نوافذ الغرفة، وعند محاولتها القيام اكتشفت أن الركام يغطي جسدها ولم تستطع الرؤية بسبب الغبار: "لم أستوعب ماذا جرى.. لم أسمع أي صوت لانفجار في المكان.. ولكنني أيقنت أن هذا ما جرى هو قصف لبيتنا.. صرخت بصوت مرتفع.. وسمع صوت صراخ.. كان لأمي.. سمعت صوت أبي يناديني: (يا محمد، يا وفاء، يا مؤمن).. رد أخي محمد أنا بخير.. سمعته يسأل أبي: هل أنت بخير.. فأجابه أبي أنه بخير.. رد كذلك بعض إخوتي وقالوا أنهم تحت الركام وكانوا ينادون على أبي وأمي ليطمئنوا عليهم.. لم يري أحد الآخر من الركام والظلام والغبار الذي يملأ أرجاء البيت.. استطاع أبي أن يتحرك وحمل كشاف إنارة بحث عنا تحت الركام.. سمعت صوت أخي مؤمن يصرخ: رجليا تقطعوا مش حاسس فيهم.. حاولت أن أحرك نفسي بإزاحة الركام من على جسدي لكي أتنفس.. ولكنني لم إزاحة الركام.. فقطعة كبيرة من الحائط سقطت على جسدي.. لم أستطع تحريكها.. لم أفقد الأمل وحاولت إزالته الركام بقدمي.. ناديت على أبي كي ينقذني.. كنت أشعر باختناق شديد.. لم أعد أستطع التنفس من كثرة الغبار.. وصلني أبي.. حاول أن يرفع الحائط.. ولكنه لم يستطع لكبر حجمه.. قال لي: لا أستطيع تحريك الحائط.. بدأت أفقد الأمل.. ونطقت الشهادتين.. شعرت أنني لن أنجو.. سوف يخنقني الغبار.. أبي لم يفقد الأمل.. واصل محاولاته رفع الحجارة المحيطة بجسدي لإنقاذي.. وبعد دقائق استطعت تحريك جسدي.. فقد استطاع أبي أن يسحبني من تحت الركام.. شعرت بالحياة تدب في أوساطي.. نادي أبي على إخوتي محمد ومؤمن لكي يطمئن عليهما.. سمعت أخي مؤمن يرد على أبي ويطمئنه على نفسه وأخبره بأنه فقد قدمه.. أخي محمد لم يرد.. شعرت أنه قد فارق الحياة.

مضت الدقائق دون أن يصلنا أحد من الجيران.. تقطعت أسلاك الكهرباء وسقطت أرضًا جراء القصف.. فكان من يمشي على الأرض يصاب بصعقة كهربائية.. وهو ما يمنعهم من الاقتراب.. استجمعت قواي ومشيت.. اتجهت إلى منزل عمي المجاور

لبيتنا.. ووفي طريقي أصبت بصعقة كهربائية خفيفة تسببت بحروق في قدمي.. وهناك وجدت أمي.. وفوجئت أن بيت أخي: رأفت قد قصف.. بل هو المستهدف.. لقد دمر بالكامل.. حضنتي أمي.. وضعت يدها على رأسي وإذا بيدها امتلأت بالدماء.. فبدأت بالصراخ.. لقد كنت مصابة في رأسي.. لم أكن أشعر بالإصابة.. ولم أشعر بألم.. أخذني ابن عمي إلى إحدى سيارات الإسعاف التي وصلت للمكان.. أجلسوني سيارة الإسعاف التي كانت تتوقف بعيداً عن المنزل خوفاً من معاودة القصف.. وبعد ذلك جاء للإسعاف ابنة عمي: إيمان.. كانت مصابة.. وعلمت من اخوتها أنها أصيبت بينما كانت تصلي حين القصف.. أصيبت بجراح خطيرة جراء الركام.. بدأ المسعفون بتقديم الاسعافات الأولية لي ولإيمان.. بعد دقائق جاء الجيران بجثة شهيد.. شاهدت زوج أختي يهمس لمن يحملوه بعدم ذكر اسمه.. وقال لي: "لا تخافي الشهيد مش منا".. تحرك الإسعاف بنا للمستشفى.. وصلنا مستشفى شهداء الأقصى.. أنزلوني.. وفي الاستقبال بدأ الأطباء بتقطيب جرح رأسي.. وصل أخي مؤمن ووضع السرير المجاور لسريري.. تحدثت معه واطمئن علي.. جاء زوج أختي فسألته عن حالة أخي محمد (الذي تواجد في منزل أخي رأفت).. فأخبرني أن حالته صعبة جداً وهو الآن بالعناية المكثفة.. بعد ذلك جاء الكثير من أقاربنا.. بدأت أسمعهم وهم يعزون والدي ويقولون له: "عظم اللّه أجركم".. استغربت وبدأت أتساءل من استشهد؟ ولكن لم يخبرني أحد.. جاءت أمي لتجلس بجواري.. سألتها عن أخي محمد فأخبرتني أنه بخير!! شعرت بأن أمي تخفي عني شيئًا.. وعند حوالي الساعة ٨:٠٠ مساءاً أخبرني زوج أختي بنبأ باستشهاد أخي محمد.. وقال لي: "للّه ما أعطى وللّه ما أخذ".. صرخت.. بكيت بشدة.. لم أتوقع أن يستشهد محمد..

وبعد ذلك جاءتني الأخبار بأن أخي: رأفت وزوجته وأولاده.. استشهدوا.. وعلمت أن قوات الاحتلال استهدفت رأفت.. وعثر على جثته أمام مدخل بيت عمي المجاور لبيته.. وجثة زوجته نبيلة طارت مسافة تقدر بخمسين متراً وعثروا عليها في أرض زراعية قريبة من بيتنا.. طارت الجثث من شدة القصف.. صدمت من الخبر.. لم أستطع أن النطق.. فقط قلت: (الحمد للّه).. ولم أستطع البكاء.. طلبت أن أرى إخوتي.. أن أودعهم.. ساعدوني ورافقوني لثلاجة الموتى في المستشفى.. رأيت جثة أخي محمد.. كانت كاملة.. وجثة أخي أحمد.. كانت أشلاء ممزقة وضعت في أكياس بلاستيكية.. أما جثة أخي رأفت فكانت مصابة بحروق وكسور.. وجثة زوجته نبيلة كذلك.. شاهدت جثث أبناء أخي رأفت: مصطفى كانت قدمه مبتورة ووجده الجيران في الطبقة الرابعة من بيتهم.. ميسرة كانت جثته في الطبقة الثالثة.. وفرح وجدت في حديقة الجيران.. قوة القصف أطارت جثتها لترتطم بشجرة تين. قصفت عائلة وفاء بشكل مباغت.. دون أن تقترف أي ذنب.. فقدت سبعة من العائلة في لحظات.. كادت أن تكون من القتلى.. فقدت أخوتها: رأفت ومحمد وأحمد.. وزوجة أخيها رأفت: نبيلة.. وأبنائه: مصطفى وميسرة وفرح.

"عيد ميلادها يوم موتها"

54

"عيد ميلادها يوم موتها"

"السيدة لطيفة العصار تبلغ من العمر (٦٠ عامًا)، متزوجة ولديها خمسة بنات تزوج أربعة منهن وتعيش معها آلاء (٢٢) عامًا، ولها أربعة أبناء يسكنون معها في نفس المنزل وهم: رأفت (٣٨) عامًا- متزوج من: لمياء حسن حمدان (٢٨) عامًا- وله أربعة أطفال، ثلاثة منهم إناث هن: لمى(٦) أعوام، جنى (٥) أعوام، وندى(٩) أشهر، وله أبن هو: محمد (٣) أعوام. وابنها الثاني هو: أشرف (٣٦) عامًا- متزوج من: عبير ناهض العصار (٣٣) عامًا- وله أربعة أطفال، ثلاثة من الإناث هن: نغم (٧) أعوام، منة اللّه (٥) أعوام، ورناد (عامين ونصف)، وابنه: عبداللّه (٤) أعوام. بينما يسكن أبنائها في شقق مستقلة: عبد الفتاح(٣٣) عامًا- متزوج ولديه طفلين، وفخري متزوج.

فقدت السيدة لطيفة ثلاثة من أفراد عائلتها، هم: زوجة ابنها: أشرف (عبير العصار) بينما كانت حامل في الشهر التاسع، وحفيدتيها: لمى "رأفت" (٦) أعوام، ورناد "أشرف" (عامين ونصف).
تسكن عائلة العصار في مخيم النصيرات، في بلوك "٥" في شارع علي بن أبي طالب، في منزل يتكون من طبقتين، طبقة أرضية يعيش الأب والأم والابنة: آلاء، أما الطبقة الثانية فتتكون من شقتين (مغطاة بالأسبستوس) يعيش فيها: رأفت وعائلته في شقة، وأشرف وعائلته في الشقة الثانية.

بدأت تروي السيدة لطيفة قصة فقدانها لزوجة ابنها وأحفادها، أن تم قصف البيت المجاور لمنزلهم الذي يعود لعائلة البيومي وعلى أثره ثم استشهاد أفراد من عائلتها فتقول:
يوم الأربعاء الموافق ٣٠/٧/٢٠١٤ في حوالي الساعة ٨:٠٠ مساءاً كنت أجلس أنا وزوجي وابنتي في الطابق الأرضي، أما أولادي رأفت وأشرف فكل واحد كان يجلس مع عائلته في بيته، فجأ لم أشعر بشيء، وحدث ضغط كبير في البيت، وسمعت أصوات الشبابيك تتساقط، وبدأ ركام البيت أيضًا بالتساقط.

ابني أشرف قال لي كان هو وزوجته يجلسون سوياً وكانت ابنته رناد تجلس معهم، أما ابنته نغم فكانت تلعب في الغرفة قريب منهم، وعندما حدث القصف وقعت حائط الغرفة على أشرف وزوجته وابنته، فغطي الركام أجسامهم، عندها بدأت زوجته بالصراخ لمساعدتها فكانت تقول (إلحقني يا أشرف) وبدأت ابنته نغم أيضًا بالصراخ وبدأت أنا وإبنتي بالصراخ، وجاء الجيران وبدأوا بالدخول إلى البيت لمساعدة أولادي وعندما دخلوا البيت ابنته نغم أخبرتهم عن مكان والدها وبدأت تقول (بابا هان) لأن

الركام كان يخفي ملامح أجسامهم، بدأ الناس برفع الركام عن ابني ليساعدوه، وعندما بدأ يظهر وجهه، فوراً أخبر الناس بمكان زوجته وابنته رناد ليتم إنقاذهم، فبدأ بالتأشـــــــــير على مكانهم، فبدأ الناس بالحفر وبرفع الركام عنهم، ولكنها كانت قد استشهدت خنقًا هي ورناد من كثرة الركام الذي سقط فوقهم وانقطاع الهواء عنهم وكثرة الغبار.

أما ابنـي رأفت أخبـرنـي أنه وقت الحدث كان يقف على باب البيت الخارجـي وزوجته كانت فـي بيتها وكانت ابنته لمى نائمة فـي الغرفة المجاورة، أما ندى الصغيرة فكانت أيضًا نائمة في تختها بجوار والدتها، وحنين كانت تجلس بجوار والدتها و كانت ترسم، أما محمد ابنها كان يجلس بحضـن أمه، عندما حدث القصـف ابني رأفت وقع باب البيت الخارجي عليه لأنه يقف بجواره، وزوجته من شدة القصـــف حضـــنت أولادها لتحميهم، فوقعت حائط الغرفة على أمهم مما أدى إلى إصابتها في ظهرها، وحين حاول الجيران رفع الركام عنها وعن الأطفال، قالت لنا أنها كانت تشـــعر بخطوات الجيران وهم يســـيرون لينقذوها فكانت تشـــعر بأقدامهم وهم يدسون على الركام وعلى جسـدها، حاولت لمياء أن تنقذ نفسـها وأولادها فبدأت تحفر بيدها بين الركام لتخرج من تحته حتى اســـتطاعت أن تخرج يدها من تحت الركام ليراها الناس وينقذوها، وفعلًا اســـتطاعت أن تخرج يدها فرأها عبد الفتاح وأنقذها هي والأطفال، وتم نقلهم جميعًا إلى مستشفى الأقصى، تبين لنا أن لمى قضت تحت ركام الغرفة بعد ذلك.

هناك قدموا العلاج للجرحى فلمياء زوجة ابني رأفت كان عندها كسور بكتفها نتيجة وقوع الحائط عليها، كما قاموا باستئصـال الرحم لها بسبب إصابتها بشظايا كثيرة في بطنها، أما ندى ابنتها فتم بتر أصبع يدها.
اليوم الذي استشـهدت فيه لمى ابنة رأفت هو نفس اليوم الذي ولدت فيه فكان عيد ميلادها وأيضـًا يصـادف عيد زواج أمها، هذا اليوم الذى كنا نحتفل فيه لوجود مناسبتين أصبحنا نعتبره يوم حداد على شهداء عائلتنا.
أولاد ابني أشرف فقدوا أمهم التي كانت حامل بشـهرها الأخير وكانت عائدة من المسـتشـفى بسـبب تعبها من الحمل، حتى أنه كان موعد ولادتها في صباح اليوم التالي، فعادت إلى البيت لتستشـهد بين أولادها وزوجها ودفنت وفي بطنها جنينها الذى تحمله وفارق الحياة معها.

ما حدث لنا كان فاجعة كبيرة جداً، فنحن ليس لنا أي ذنب حتى أننا لسنا المسـتهدفون من القصـف، أحفادي استشـهدوا بغير ذنب وزوجة ابني ايضـًا استشـــهدت بغير ذنب، كل يوم أتذكر أحفادي، أتذكر عندما كانوا يلعبون في البيت وكانوا دائماً يصـــنعون البهجة في البيت مع أخوتهم، ابني الآن هو من يربي أطفاله الثلاثة هو المسئول عنهم بعد استشهاد زوجته، فهو يعيش صدمة كبيرة بعد فقدانها.
أطلب من اللّه فقط أن يزيد الصبر في قلوبنا على تحمل فراقهم.

زيدي المرقة وكثري الملوخية

58

زيدي المرقة وكثري الملوخية

نوال الحلو تبلغ من العمر ٤١ عاماً، متزوجة من أكرم عوض الحلو، تسكن مع عائلتها المكونة من ١١ فرداً، في حي الشجاعية، شرق مدينة غزة ، للبيت جنينة جميلة تعتبرها بمثابة جنتها على الأرض، بها جميع الأشجار حتى شجرة العناب، الزيتون ربيته كما يربى الطفل أعتبره أحد أبنائي.

تروي لنا السيدة نوال قصة تشردهم بعد قصف منزلهم واستشهاد أم زوجها الحاجة : حجازية الحلو ٨٣عاماً، فتبدأ حديثها بعبارة تلخص المشهد، فتقول:

سمعنا أصوات ضجة في الخارج، وصرخات تتعالى "اخلوا البيوت سوف يقصفوا بيت الحلو بعد خمس دقائق.. انقذوا حياتنا ولكن خربت بيوتنا وأصبحنا في مدارس الإيواء بلا مأوى ولا بيت ولا خصوصية).

حماتي المسنة "حجازية حامد الحلو ٨٣ عاماً، لديها ثلاث أولاد وزوجاتهن و ٢٠ حفيد، حنونة محبوبة من الجميع: الأهل والأبناء والأخوات، ولنا معزة خاصة عندها بالذات "أبنائي" كانت تطلع جميع الشقق وتتحدث مع أولادي وتتفقدهم، يوم الأحد الموافق ١٣/٧/٢٠١٤، بعد الافطار وصلاة المغرب جلسنا في الحديقة وتحدثنا عن العدوان، كانت تروي لنا قصة الهجرة عام ١٩٤٨م، وفجأة دوت الانفجارات في المنطقة فهربنا جميعاً من بيتنا لا نملك سكينة ولا ملعقة"، ثم عدنا ودخلنا المنزل عند صلاة العشاء، فاشتد القصف في المنطقة.. ثم سمعنا أصوات الجيران تتعالى: "بدهم يقصفوا بيت الحلو" خرجنا نجري وأمسك حماتي بيدي وما أن وصلنا مدخل البيت، سحبت يدها من يدي تركتني واتجهت عائدة للبيت، تقول: "نسيت أغراضي" ..صرخت عليها حتى تعود، أردت اللحاق بها فسحبني الجيران من يدي، فصرخت حماتي: بدي أشوف البيت، والتف عدد كبير من الجيران حولنا العدد كان كبيراً، وما هي إلا لحظات حتى قصف البيت أمام أعيننا "واستشهدت الحاجة حجازية حماتي"، أخذوني الجيران عندهم وبقيت حتى الصباح .

في الصباح ذهبت لرؤية منزلي الذي أصبح كومة من الركام وتحته ترقد الحاجة حجازية ولا أعلم ماذا أفعل وأين أذهب حتى قررنا أن ننتقل لبيت أهلي.. لكن البيوت مليئة بالناس، فجميع سكان الحي تركوا بيوتهم، فلم أستطع البقاء عند أحد، وانتقلنا لمستشفى الشفاء وبعد أسبوع كانت مجزرة الشجاعية، فشاهدت الجثث والاصابات القادمة من الحي جراء الاستهداف العشوائي من قبل جيش الاحتلال، هي لحظات وأيام أقل ما توصف به أنها أسوء من السوء، مناظر المذابح والشهداء والمصابين، ساحة المستشفى "عمتها الفوضى"، ودخلها عدد كبير من سكان الحي هاربين من الموت، ثم سمعنا عن مدرسة الرمال فتحت لإيواء العائلات وذهبنا أنا وزوجي وأولادي على المدرسة.

ومكثت في مدرسة الايواء حتى اعلنوا عن تهدئة لساعات، فزرت المنطقة، وكانت الصدمة!! هذا بيتي؟؟ بنيناه من عرق جبيننا، كان زوجي يعمل في الخط الأخضـــر وبناه حجر.. حجر، حتى أصبح عمارة وأولادي أصبحوا شباب في سن الزواج. لا يوجد بيت هو كومة ركام، القصف دمر كل شيء دمر البيت، وفي الاجتياح البري دمرت البيوت وقطعوا الشجر وأصبحت المنطقة خرابة، حزنت على الشجر أكثر من البيت، ودمرت عشة الحمام، وهاجر الحمام مع أصحابه، وفي منه مات.

وتطلق الزوجة تنهيدة مليئة بالحســـــــرة والألم محبوسة بداخلها وكأنها بركان كاد أن ينفجر، فتقول: "وزعت أهل بيتي على المدارس حتى ما نموت كلنا" الحياة في مدارس الإيواء صعبة جداً، في البداية كنا ١٢٠ فرد في الفصـــل الواحد كنت أبكي طول اليوم أنا وبناتي مسموح لنا نصف متر فقط عند النوم.

في المدرسة أعطونا فرشتين لـ ١١ فرد ننام عليها والرجال يناموا خارج الفصـــول على حصـــيرة، في الصـــباح ينتشـــر الذباب القارص، أسميناها(النمرة الســـوداء)، بالإضافة للإزعاج الدائم من كثرة أعداد المهجرين، الحمامات قذرة جداً، نتيجة لقلة المياه جميع الخزانات تفرغ بعد ساعة من ملئها.

الأكل لا يكفي وجبة واحدة تتوزع بعد العصـــــر، ربطتين خبز، ٢ بكيت خيار كل بكيت فيه ٣ خيارات، و٢ بكيت بندورة كل بكيت فيه ٣ حبات، ١ كيك لكل فرد، وعلبتين جبنة مثلثات، وعلبة حليب سائل صغير كل اثنين في علبة، والأهم من ذلك الأولاد كانوا مشتتين.

بعد انتهاء الحرب قل عدد الناس في المدارس فمنهم من عاد لبيته، وكل فصـــــــل يحتوى على ٣ عائلات فقط، لكنني لا أملك الخصـــوصية، كيف أنظف أولادي انتشـــرت الحشـــرات في الأطفال، ولا راحة في ارتداء الملابس طول اليوم حجابي على رأسي، وكل أسرة لها أطباع وعادات مختلفة، اتفقت مع النســـاء على تنظيف الأرض والبلاط يومياً، لنحافظ على نظافة المكان، وفتحت المدارس للطلاب وأصبح من الصعب علينا إرسالهم للمدارس لأنهم بحاجة لمواصلات حتى نتمكن من نقلهم لمدارس قريبة إن وجدت.

"حالات نفسية صعبة بنشوفها"، كل عيلة لها أسلوبها وطريقتها في تربية أولادها، كنت قادرة على تربية أولادي اليوم اكتسبوا عادات وأطباع من الآخرين وصار عندهم بلادة وشقاوة.

بالنسبة لوضعنا الاقتصادي سيء جداً زادت المصاريف لأن ما يقدم لنا من وجبات غير كافي ولا يقيت أسرة كبيرة مثلنا، لا نعرف كيف ندبر متطلباتنا، المعلبات لا تقيت الأطفال لذا أضطر لبيع المعلبات لأشتري لأولادي الخضار وأطبخ لهم، كل أثاث بيتي دمر، اشتريت بوتاجاز عادي وجرة غاز لأطبخ لأولادي، الناس كلها وضعها سيء طبخت ملوخية سألت الجيران اذا بدهم يشتركوا معنا؟ قالوا زيدي المرقة وكثري الملوخية" ما عندهم مصاري يشتروا"، والخبز لا يكفي.

في العيد استشهد سلفي حين استهدف أطفال الشاطئ افتقدنا العيد..وعشنا العيد مع الدم، وما بعرف طعم النوم ، ما عاد لي أي خصوصية في حياتي، ولا أعرف إلى متى سنبقى بهذا الوضع؟؟؟ يا ريت حدا يجاوبني !

من يزورهم في المقبرة

62

من يزورهم في المقبرة

نجلاء محمود الحاج، تبلغ من العمر ٢٦ سنة، متزوجة وأم لطفلين، تسكن وزوجها وأسرتها بحي تل السلطان، غرب مدينة رفح.
فقدت نجلاء ٨ من أفراد عائلتها، وهم والدها محمود الحاج ٥٠ عامًا وأمها باسمة عبد القادر الحاج ٤٨ عامًا، وأخيها عمر ٢٠ عامًا، وسعد ١٧ عامًا، وطارق ١٨ عامًا وأخواتها: أسماء ٢٢ عامًا، ونجلاء ٢٩ عامًا، وفاطمة ١٢ عامًا في قصف بيت عائلتها الكائن في مخيم خان يونس بلوك " g"، بمنزل مقام على مساحة ١٤٥ متر مربع، ومكون من طابقين الطابق الأول مسقوف بالباطون، والطابق الثاني مسقوف بالأسبست ويعمل على تجهيزه لتزويج أخاها ياسر.

تروي لنا نجلاء كيف تلقت خبر مقتل عائلتها، ويعتلي وجهها الأسى، وتحيط عيناها هالات من اللون الأسود فتبدأ حديثها، سأخبركم عن والدي ثم أروي لكم ما حصل، وتقول:
والدي رجل بسيط، من عمال الخط الأخضر يعمل في مصانع الخياطة وتوقف عن العمل بعد الإغلاق والحصار على قطاع غزة، كل تفكيره فقط تعليم أولاده في الجامعات ليحقق بهم ما فقده، والوالدة ٤٨ عام لا شأن لها بشيء وربة بيت فقط.
أما عن الحادث، فتقول: فصلت الكهرباء عن منطقتنا في تل السلطان برفح في الساعة العاشرة ليلًا، فتحت الهاتف أستمع للأخبار لأعرف أين القصف؟، حتى الساعة ١٢:٣٠ بعد منتصف الليل من يوم ١٠/٧/٢٠١٤، سمعت على الأخبار أنه تم قصف عائلة الحاج في منطقة العقاد في خانيونس، أخذني زوجي إلى عمتي "حماتي" في الدور الأرضي، وخرج ليتأكد من الخبر وبعد ساعتين والنار تأكل قلبي، أخبرني أن أحدًا أخبره أن أخي ياسر خارج من البيت، سألته: أين باقي العائلة؟ لكنه لم يجبني.
لم أستطع الانتظار أكثر فاتصلت بأخي ياسر لكنه لم يرد، وفي الساعة الخامسة صباحًا قلت لزوجي: وكلت أمري للّه .. لكن ضروري أتأكد من الخبر ممكن يطلع منهم حدا عايش، بعدما تأكد لي خبر أن القصف كان لبيت أهلي، ولكن كان عندي أمل أن يكون الخبر غير صحيح، أو أن يكونوا أحياء، وبعد مرور الوقت دون وصول أي خبر لنجاتهم، وبدأت أشعر بإحساس داخلي يقول لي جميعهم استشهد حتى ياسر مات في داخلي الأمل.

وكأني أحلم لم أصدق ما أسمع، عاودت الاتصال على ياسر لكنه لم يرد، بعد محاولات رد عليّ خالي ..
تصمت فجأة وتغمض عيناها، وتقول: "لا تحذير ولا رنه" قبل يومين كنت عندهم وابني كان عندهم.. تحدث زوجي مع خالي على الهاتف وطلب منه أن يكلم ياسر قال له: ياسر في المستشفى و "اطلبوا العوض من اللّه بالجميع" ... وكانت الفاجعة وهول المصيبة حين تأكد الخبر.

أن جميع من في البيت استشهد: والدي محمود الحاج ٥٠ عامًا، وأمي باسمة عبد القادر الحاج ٤٨ عامًا، وأخي عمر ٢٠ عامًا، وسعد ١٧ عامًا، وطارق ١٨ عامًا، وأخواتي أسماء ٢٢ عامًا، ونجلاء ٢٩ عامًا، وفاطمة ١٢ عامًا، ولم يتبقى منهم إلا أخي ياسر ٢٥ عامًا كان خارج المنزل..

صليت الصبح وانتظرت حتى الساعة ٦ صباحًا طلبت من زوجي الذهاب إلى خانيونس وكان الوضع صعب والقصف في كل مكان، حوالي الساعة ٧:٣٠ صباحًا وصلنا مستشفى ناصر أنا وزوجي وأولادي حينها أفاق أخي ياسر وكان لا يزال تحت تأثير المهدئات..

وعند الظهر أحضروا أهلي من المستشفى للدفن ورفضوا أن أرى أحد منهم، ما عدا وجه أمي.. قلت: ممكن أن أرى أحد أخر، أبي إخواني، أخواتي، إلا أنهم رفضوا .. وكان ياسر يسأل عن أمي لأنها لم تفارق الحياة عند انتشالها.

وعرفت من ياسر أن يوم الحادث كان ياسر وسعد وطارق وعمر في البيت والوالد والوالدة كانوا في زيارة لبيت عمي بمناسبة رمضان، وعندما عادوا أهلي من الزيارة خرج ياسر من البيت، قالوا له: لا تخرج إن الوقت متأخر، قال لهم: سأكون قريبًا من البيت مع أصحابي.. بعد نصف ساعة كانت أصوات الطائرات تحلق بشكل كثيف في الجو، فترك أصحابه وعاد وفي طريقه للبيت على بعد ٥٠٠ متر سمع صوت انفجار، لم يتوقع أنه في بيتنا هكذا أخبرني، فالغبار يملأ المكان حتى ٢٠٠ متر، عند مدخل الشارع وهم ينتشلوا المصابين، سألهم بيت مين؟؟ قالوا: بيت على اللفة، قال: هذا بيتنا، وأخذ يصرخ: أهلي فيه.. أمسكه الشباب وأرجعوه للوراء.. فشاهد ياسر خالي يحمل أمي، فأمسكوه المتواجدون ثانية، وقالوا له: الوالدة بخير، ليس بها سوى إصابات.. وسمعهم يقولوا: "أبو ياسر استشهد".. أخذوه إلى المستشفى ليتفقد المصابين هناك لم يرى أحد من أهلي فأغلب المصابين من الجيران.

وتهز رأسها شمال ويمين ودموعها تتساقط على خديها، وتقول: " شيء صعب أن أتذكر.. معقول أهلي كلهم ماتوا في يوم واحد"، كان أول بيت يقصف على رأس أصحابه بعد عائلة كوارع... أهلي كلهم راحوا.. عائلة كاملة ٨ افراد قتلوهم و حتى الآن لا أعرف السبب..!!

ما فيه أي سبب يعطيهم الحق بقصف بيت آمن على مدنيين، حرموني من كل شيء جميل في حياتي، لم يتبقى لي منهم غير ياسر، ولولا أنه كان مع أصحابه خارج البيت كان ما بقى لي أحد، لا قريب ولا حبيب.

وتعود بها الذكريات لثالث يوم الحرب، فتقول: زارني أخي عمر وأخذ ابني معه لخانيونس، واتصل علي ثاني يوم عمر وقال لي: تعالي افطري معنا عاملين أكل طيب. واتصل على زوجي وقال له: "سآتي لأقللكم بسيارتي بعد ربع ساعة"، وبالفعل افطرنا

معهم، وزوجي عاد إلى رفح وتركني عندهم وعدت إلى بيتي يوم الأحد بالليل.
من أربع سنوات وأنا متزوجة لم أشعر أني بعيدة عنهم جميعهم يزورني باستمرار ولو احتجت شيء يحضروه فوراً، فاطمة أختي كانت عندي قبل الحرب ومعها شهادة المدرسة وكنت سعيدة وهي عندي، وعادت لخانيونس وكان لها تكريم في المدرسة لأنها من الأوائل في الفصل الثامن ومعدلها ٩٨.٥٪.

عمر يدرس اللغة عربية، دائما يزوروني بعد الانتهاء من محاضـــراته في الجامعة، وكان هدف والدي تعليمنا في الجامعة، دائماً يقول : لازم البنات والأولاد يكملوا تعليمهم الجامعي، أســـماء درســـت تكنولوجيا طبية وخريجة باقي عليها التدريب العملي الميداني وكانت الأولى على الدفعة كانت تحلم بالتخرج والتعيين في الجامعة، سعد في الثاني ثانوي، وهو الأول على المدرسة و طارق في الثانوية العامة. لا أعلم ما الخطر الذي شـــكله ناس مثل أهلي أولاد متفوقين دراســـياً كان والدي ينتظر حتى يرى مستقبلهم وحياتهم.

وكانوا جميعًا حنونين عليّ وعلى أولادي، أنا الآن أسكن مع أخي ياسر الأخ الوحيد الذي نجا من المجزرة، نعيش في بيت مســتأجر وتاركة بيتي وبيت زوجي من يوم الحادث.
وتتســـــــــــاءل: كيف يمكنني أن أكون في بيتي ولا يزورني أحد منهم؟؟ وإن عدت إلى بيتي، ياسر لمين بدي أتركه؟؟ يعيش لوحده..... وأيضًا لا أريد أن أترك أهلي، من يزورهم في المقبرة.
فهم لم يتوقفوا عن زيارتي وهم أحياء،، فلا يمكنني أن أتوقف عن زيارتهم وهم أموات ،، كم أحن إليهم ..!!

"تذوقت طعم الغبار"

68

صور أرشيفية للأطفال الشهداء من عائلة الضحايا

"تذوقت طعم الغبار"

السيدة سهير عبد الكريم الفرا (البطة)، تبلغ من العمر ٣٩ عامًا، متزوجة من السيد محمود الفرا، أستاذ جامعي، وأم لستة أطفال ولدان وهم:(محمد وأحمد)، وأربع بنات هن: (لميس ونادين ورزان ويارا)، تسكن وأسرتها الصغيرة في شقتهم بالطابق الأول بعد الأرضي ، في بناية مكونة من ثلاث طبقات يعيش فيهم سبع عائلات عددها ٣٢ فرداً، في حي المنارة جنوب مدينة خان يونس.

فقدت السيدة سهير ٣ من أبنائها، من بين ٩ شهداء فقدتهم عائلة الفرا، وهم :
محمد ١٢ سنة، ويارا ٨ سنوات، ونادين ١٥ سنة، عواطف الفرا ٣١ عام و جنينها، وأبنائها: (الطفل عبد الرحمن ٨ سنوات، لاجين ٤ سنوات)، عبد المالك الفرا ٦٠ سنة، وابنه اسامة ٣٤سنة، و عماد الفرا ٢٨ سنة.
لم يكن صباح مطلع الأول من أغسطس يوم عادي في حياة أهالي قطاع غزة، الجميع بانتظار الهدنة المعلن عنها، ولكن العدو لا يعترف بهدنة ولا يحترم مواثيق دولية وقبل أن تبدأ مجزرة رفح المعروفة كانت مجزرة عائلة الفرا التي راح ضحيتها تسعة أفراد أغلبهم من النساء والأطفال، وأصابت ما يزيد على اثنى عشر شخص من تلك العائلة.

تروي لنا السيدة سهير الحادثة، بعد محاولات عديدة منا لمساعدتها على تمالك نفسها، فتقول:
إنها الساعة ٢:١٤ صباح يوم ١/٨/٢٠١٤، فزعت من نومي على صوت انفجار قوي وتكسر زجاج الشبابيك، ثم سمعت صوت يصرخ: "اخلو الضربة عندكم"، فارتبك الجميع، ابنتي يارا لبست ثوب الصلاة وهي ترتجف خوفًا، ولم أرها حين خرجت من البيت، وابنتي لميس تبحث عن العباءة لترتديها، قلت لها: "خلصي .. يلا يما انزلوا" ، وما أن أغلقت فمي حتى تذوقت طعم الغبار، وشممت روائح غريبة وغير طبيعية ، امتلأ البيت بالدخان والغبار، نظرت أمامي إذ بباب الشقة مخلوع من مكانه، وبعض الأثاث محطم، وجميع سكان العمارة ينزل للشارع وغادرنا الشقة أنا وزوجي وأولادي، حين خروجنا لاحظنا دخان كثيف في الطابق العلوي، قبل أن نصل آخر الشارع عند بيت جارنا على بعد حوالي ٧٠ متراً من بيتنا، وقبل أن نصل مفترق الشارع شاهدت لون أحمر قادم من السماء، قالوا صاروخ .. سقط علينا وعلى أولادنا، لحقه صاروخ ثاني نزل خلفنا، دب الرعب في قلبي ولم أدري ماذا أفعل، أولادي يصرخون: "محمد مش موجود.. ويارا مش موجودة.. ونادين مش موجودة"، أمسكت بزوجي وسألته عن يارا. قلت ابنتي يارا قد تكون دخلت البيت ثاني، والأطفال كلهم في الشارع ..قالوا يمكن مصابين.. الجميع لا يعرف عنهم شيء،ثم سمعت احدى النساء تقول: "أولادك اصيبوا"، نزل كلامها عليَ كالصاعقة، ثم شعرت بماء دافئ يسيل من قدمي، فشاهدت دماً

تنزف من قدمي، وهرع زوجي رغم اصابته ليتفقد أولادنا، وما أن وصل حتى شاهد ابني محمد لازال يلفظ أنفاسه و قلبه ينبض، ابن عم زوجي الدكتور منتصر كان يجري له تنفس صناعي، وترك زوجي يعمل لمحمد تنفس صناعي لأكثر من نصف ساعة وانتقل الدكتور لمصابين آخرين، تأخرت الاسعافات في الوصول رغم علمهم عن وجود شهداء ومصابين كان القصف يومها في كل مكان وفور وصول الإسعافات تم نقل المصابين.

نقلوني أنا وزوجي المصاب وينزف دمًا من وجهه، في الإسعاف إلى المستشفى الأوروبي، وحتى لحظة وصولنا للمستشفى لم أرى أولادي، قلت لزوجي: "وين أولادي"، قال لي: سهير...استشهد محمد ويارا ونادين، فقدت وعيي وسقطت على الأرض، أعطوني مهدئ وعالجوني في المستشفى، ورفضوا أن أراهم وهم في سيارة الإسعاف فقط: رأيت وجه نادين كانت الاصابة عند عينها وأخذوهم على الفور ليدفنوهم.

وتغمض عينيها، تحاول أن تتذكر من استشهدوا من العائلة، فتقول: اثنين من النساء حوامل، الشهيدة عواطف الفرا ٣١ عامًا، زوجة باسم الفرا استشهدت وهي حامل سبع شهور، واستشهد ابنها عبد الرحمن ٨ أعوام وهو في غرفة العمليات، كانت اصابته في البطن والرأس وابنتها لاجين ٤ أعوام، واستشهد عبد المالك الفرا ٦٠ عامًا كان ينزف وبعد دقائق فارق الحياة، واستشهد معه ابنه أسامة ٣٤ عامًا، واصيبت زوجته حنين الفرا (شراب) وهي حامل في الشهر التاسع وولدت في نفس اليوم، واستشهد عماد الفرا ٢٨ عامًا خاطب لم تكتمل فرحته.

يرتفع صوتها بانفعال وحرقة: ودعنا ٩ شهداء وعندنا ١٢ جريح نساء وأطفال وشباب..ما ذنبهم؟؟؟؟
تقطع كلامها وتعود "انتابني شعور بالخوف حين قالوا أن اصابة نادين ومحمد في منطقة القلب" وتتذكر كلام صغارها وأحاديثهم مع بعضهم قبل الحدث: يارا حكت للميس انا ما بدي أكبر، قلت لها ما بينفع ما تكبري، قالت بحب أبقى صغيرة ألعب وأكون مبسوطة، وذهبت وارتدت ملابس نومها ومشطت لها شعرها، وقالت لأختها مشتاقة للمدرسة والمدرسات والبنات وذهبت لسريرها تنام.

تتساقط دموعها على خديها وتعود ليوميات الحرب مع أولادها: كنت في الحرب أنام مع الأولاد والبنات في غرفة وحدة، كانوا يخافوا وحين القصف يقوموا من نومهم فزعين ينادوا ماما ـ ماما، وكنت أهديهم وأحاول أخفف من خوفهم ورعبهم.
لو كنت أعرف أن هناك خطراً يهددهم لتركت البيت وأخذتهم بعيد، لكن الكل أجمع أن منطقتنا آمنة، اتصل أهلي علىّ قالوا لي تعالي عندنا، لشدة خوفهم علينا ولكن كان الوضع بالنسبة لنا غير مخيف، وإن كان لا يوجد مكان آمن، قصفوا الأراضي الزراعية القريبة منا، لكن لم يقصفوا الأرض المجاورة لنا.

كانت آخر ليلة وسوف ندخل على هدنة وطلبوا الأولاد مني زيارة بيت جدهم ووافقت انبســـــطوا لذلك ولعبت نادين مع إخوتها لعبة الفواكه وقالت بكرة بنلعبها سوا عند "تيتا" وسألوني عن ألعابهم وهم أطفال صغار، "بندم اني كنت أفتح التليفزيون على الأخبار أيام الحرب لأن الأولاد تعبوا نفسياً".

وتتســاقط دموعها مرة ثانية وتكمل: دائما أتذكر الأشياء التي كانوا يحبوها أولادي، لا أستطيع أن أبتســم دونهم ولا يغيبوا عن خيالي، دائماً بفتح على الفيديوهات المسجلة لهم في المناسبات وأعياد ميلادهم، وصورهم لا تفارقنا، كان آخر عيد ميلاد ليارا ومحمد في شهر أبريل كانوا الثلاثة جالسين بجانب بعض وكل صورهم مع بعض وكأن هناك احساس لديهم بأنهم سيرحلون سويا.

وكأن استشهادهم كان باختيار وبتسلسل رقمي حسب ترتيبهم في الأسرة استشهد رقم ٢ و٤ و٦، كل شيء غريب لا أستطيع استيعابه ولا أفهم حتى الآن ماحصل.
ليان ٦ سنوات ابنة الشــهيدة عواطف نجت من الموت تعاني من وضع نفســي صعب جداً أبوها ليوصلها إلى المدرسة وينتظرها حتى ينتهي الدوام ويعود معها على البيت.

وتعود الأم للحديث ودموع تغمر عيناها وترتجف يديها وهي توصف عودتها للبيت: بعد انتهاء الحرب رفضـــنا الرجوع للبيت مرة ثانية وبعد شهر عدنا.. أول ما دخلت البيت جريت على لعبهم وملابســـــهم لأشتم رائحتهم، كانت معي أمي وأخواتي أخذوا كل شيء من بين يداي، وكان زوجي يأخذ كل شيء خاص بأولادي الشــهداء من أمامي حتى لا أنهار، آخر يوم قبل الحدث كان الأولاد يرتدوا ملابس العيد استحموا وغيروا ملابسهم ولم أغسلها حتى الآن، وبين الحين والآخر أضمها لحضني وأشتم رائحتهم، لم أعد قادرة على تصديق ما حدث وأنهم تركوني وراحوا، وليس من المنطق أن أعود لأنجب أولاد غيرهم في هذا العمر .. " نارهم في قلبي ما بتنطفي".

مدرسة عين الابتدائية المشتركة
أوائل الطلبة

"الحمام بالطابور"

74

عدسة/شيرين الشوبكي

"الحمام بالطابور"

السيدة عواطف أحمد محمد الجندي، تبلغ من العمر (٥٧ عامًا)، متزوجة وأم لثلاث بنات وولد، وتسكن هي وزوجها وابنتها سهى وابنها إياد وأسرته المكونة من ٨ أفراد في منزل مكون من طابقين ومبني من الباطون على مساحة ٧٠م٢، ويقع منزلها وسط تجمع شعبي مكتظ بالسكان في نهاية شارع الطواحين شرق حي الشجاعية شرق مدينة غزة، ويبعد منزلها عن الحدود الشرقية لأراضي الـ٤٨ التي تسيطر عليها قوات الاحتلال مسافة ١٥٠٠ متر تقريباً.

تروي لنا السيدة عواطف ما حدث لها ولأسرتها وملامح الغضب والحزن تكسو ملامح وجهها، مع حوالي الساعة ٧:٣٠ من مساء يوم السبت الموافق ١٩/٧/٢٠١٤ وبينما كنت أحضر طعام الإفطار في شهر رمضان، سمعت صوت عدة انفجارات متتالية ناتجة عن أعمال قصف اسرائيلي في محيط منطقتنا، وفجأة انقطعت الكهرباء والمياه عن المنطقة بسبب القصف ثم بدأ القصف الاسرائيلي يشتد تدريجياً ويقترب شيئا فشيئا من محيط منزلنا. ومع حوالي الساعة ٠٠:٠٠ من فجر الأحد الموافق ٢٠/٧/٢٠١٤ سمعت صوت انفجارات عنيفة جداً كانت ناتجة عن قصف مدفعي اسرائيلي وعلو الصوت واهتزاز المنزل يشير إلى قرب القصف من منزلنا، وفي الأثناء تجمعت أنا وأفراد أسرتي ووالدي البالغ من العمر ٨٠ عاماً والذي كان في زيارة عندنا واحتمينا من تساقط شظايا القذائف علينا في غرفة واحدة في الطابق الأرضي من المنزل ثم تواصل تساقط القذائف المدفعية بجوار منزلنا وكنا نسمع تساقطت الشظايا على منزلنا طوال الليل وكان الدخان ينتشر بشكل كثيف وغبار الركام المتطاير يملأ المكان كنا نشعر بخوف شديد جداً على حياتنا وقضينا ليلة مرعبة جدا من جراء مهاجمة قوات الاحتلال لحي الشجاعية بمئات القذائف المدفعية. ومع حوالي الساعة ٦:٠٠ صباحا قررنا الخروج من المنزل ومغادرة الحي بسبب تساقط القذائف على منزلنا وخوفا من تدمير المنزل فوق رؤوسنا خاصة بعد ان شاهد ابني اياد مئات المواطنين من أهل الحي يتركون منازلهم ويهربون الى خارج الحي، وفعلا حمل ابني اياد والدي المسن والمريض ثم خرجنا من المنزل وسط تساقط القذائف المدفعية بشكل عنيف جدا حولنا، وكنت قد شاهدت عشرات السيدات من أهل الحي يهربن من تساقط القذائف طوال الليل على منازلهن وهن بشعورهن وحفاة الأقدام وبملابس المنزل الخفيفة وبملابس الصلاة، وواصلنا الركض بأقصى سرعة تحت القصف ثم تمكنا من مغادرة الحي وأكملنا طريقنا برفقة مئات العائلات من حي الشجاعية حتى وصلنا الى مستشفى الشفاء. وعند وصولنا المستشفى شاهدت حديقة وباحات المستشفى تعج بمئات العائلات الذين قرروا الاقامة في المستشفى لحين انتهاء العدوان على قطاع غزة، وعندها ذهبت أنا وأسرتي الى شقة أختي نادية الواقعة في برج جبل الزيتون خلف مستشفى القدس بحي تل الهوى غرب مدينة غزة للإقامة عندها ليوم او اثنين بانتظار توقف القصف والعودة الى منزلنا. وقضينا في

شقة أختي نادية ١٣ يومًا، علما بأن شقة نادية مساحتها ١٥٠م٢ ومكونة من ثلاث غرف وصالة وحمام ولديها أسرة قوامها ١١ فرد بينهم ٣ شبان، حيث كانت الكهرباء طوال الوقت مقطوعة عن المنطقة، وكنت أنا وابنتي وبنات ابني اياد ريهام وجيهان وهما طالبات جامعة وكذلك باقي أولاد إياد وزوجته ننام في غرفة واحدة وكنا طوال الوقت مضطرين لارتداء ملابس ثقيلة ومستورة ونغطي شعورنا بسبب وجودنا في شقة اختي مع زوجها وأولادها، وكنا نعاني كثيرا من قلة المياه خاصة وأننا في فصل الصيف وفي أجواء حارة جدا، وكنا نصطف في طابور لدخول الحمام للاستحمام بسبب حضور عائلة خالي كامل المكونة من ١٣ فرد والذين كانوا يقيمون في مركز ايواء مدرسة مملكة البحرين التي تبعد مسافة ١٠٠ متر عن شقة أختي إلى الشقة بشكل يومي كلما احتاج أحد منهم لدخول الحمام أو الاستحمام، وكنا نعاني كذلك من قلة الأكل بسبب عددنا الكبير لا سيما وأننا في شهر رمضان، ولم نكن نشعر أبدا بأي نوع من الخصوصية. وعلى إثر ذلك قررت انا وأسرتي ترك شقة أختي والانتقال للإقامة في مركز ايواء مدرسة بنات الزيتون الاعدادية "ب" القريبة من شقة أختي. وفعلا انتقلنا الى مركز الإيواء فلم نجد أي متسع لأسرتنا في الفصول الدراسية بحيث كانت كل غرفة دراسية تحتوي على ٥٠ فرد من النساء والأطفال، واضطررت أنا وأسرتي للإقامة في ممر يقع في الطابق الأرضي من الجهة الشمالية للمدرسة، وقمنا بصنع خيمة من البطاطين لكي لا نكون مكشوفين للمئات من الشبان اللاجئين مثلنا الى المدرسة من حي الشجاعية. وفي نفس الوقت انضم الينا للإقامة في الممر ٤ أسر من أقاربنا من عائلة الجندي وعددهم نحو ٣٥ فردا، وقضينا معا وعددنا ٤٢ فرد ثلاثة أيام ننام على الأرض في الممر بدون فرشات أو أغطية، وبعد ذلك تعاطف معنا مدير مركز الايواء وفتح لنا مطبخ المعلمين الموجود بممر المدرسة ولم يتم تسجيل عائلتنا ضمن كشوفات العائلات المهجرة قسراً واللاجئة الى المدرسة ولم يتم تسليمنا فرشات أو أغطية بسبب نفاذها من المدرسة بعد توزيعها على مئات العائلات المهجرة وحضورنا متأخرين لمركز الايواء بعد تهجيرنا قسراً عن منازلنا، وبدأ المشرفون يوزعون علينا وجبات طعام يوميا وهي مكونة من معلبات تونة ولحمة مجففة وفول وجبنة وخبز. وكنا ننام نحو ٣٠ سيدة وطفل في المطبخ الذي تبلغ مساحته ٩ م٢ على الأرض طوال الوقت ونحن نرتدي ملابس ثقيلة ومحافظة وسط أجواء حارة جدا لكي لا نكون مكشوفين للشبان من المارة، بينما كان ابني اياد وزوجي ومحمد ابن اياد ينامون على الأرض في الممر. ومنذ انتقالنا للإقامة في مركز الإيواء قضينا مدة شهر كامل ونحن نعاني ظروف قاسية جدا بحيث نضطر للاصطفاف في طابور طويل لتعبئة بعض قارورات مياه الشرب من خزانات المدرسة التي توفرها الوكالة لنحو ٣٥٠٠ لاجئ وهي بالطبع غير كافية، وكنا نعاني أيضا من الاصطفاف في طابور طويل لدخول المرحاض أو الاستحمام وأحيانًا نضطر إلى الذهاب الى شقة أختي وهذا الأمر محرج جداً لنا مع مرور الوقت، وكنا كذلك طوال الوقت نشعر بالحر الشديد من جراء أشعة الشمس الحارة التي تضرب خيمتنا المصنوعة من البطاطين وبسبب انقطاع الكهرباء طوال ساعات النهار عن المدرسة. وبعد انتهاء العدوان على قطاع غزة ودخول اتفاق الهدنة حيز النفاذ مساء يوم الثلاثاء ٢٦/٨/٢٠١٤ عدنا الى منزلنا فشاهدت الطابق الثاني مدمرا بشكل بالغ من جراء تساقط القذائف الاسرائيلية عليه وكذلك شبكة الكهرباء في المنزل وخزانات المياه فقمنا بإصلاح بعض الأضرار وعدنا للإقامة في منزلنا.

"طلعنا ٣٠ وارجعنا ١٤"

"طلعنا ٣٠ وارجعنا ١٤"

السيدة هناء المهموم تبلغ من العمر ٢١ سنة طالبة جامعية، تعيش مع أسرتها المكونة من ١١ فرداً في شارع البلبيسي الذي يسكن معظمه عائلة المهموم، بحي التنور، مدينة رفح، أعلن عن الهدنة في الثامنة صباحاً وعاد من خرج من بيته في تلك المنطقة ليتفقده ويعود اليه قبل أن تنتهي الهدنة، وكأنها لم تكن هدنة.

فقدت هناء ٧ من أسرتها، ضمن ١٦ شهيداً من عائلتها ، وهم : أمها عزيزة ٤٨ سنة، وأختها وفاء ٢٤ سنة ، أنس ابن أنعام ٤ سنوات، أخيها هاني ٢٣ سنة ، وأختها أسماء١٦ سنة، وأخيها يحيى ١٣ سنة، وابنة عمها قزاية المهموم ٣٢، وأبناءها الأربعة بيسان مصطفى المهموم ١٢سنة، وهبة ٩ سنوات، ودعاء ٤ سنوات، وعبادة سنتين. واخوات قزاية عطاف ٣٠ سنة وابتسام ١٨ سنة، عمر ١٨ سنة وياسر ١٥ سنة، الطفل فارس ٦ شهور وهو وحيد أمه.

تروي لنا هناء ما حدث مع عائلتها في يوم المجزرة كما وصفته، وكأن الدماء تكاد تهرب من وجهها، فتقول:

عند حوالي الساعة ٨.٣٠ صباحاً، خرجنا لبيت ابن عم أبي/ فتحي المهموم، " كنا ثمانية خمس بنات وولدين وأمي، تجمعنا في بيت فتحي وزوجته سميرة وأولادها ستة وأنعام أخت فتحي وأولادها وأولاد اختها فاطمة وآخرين من عائلة المهموم ما يقارب ٣٠ فرداً من العائلة.

وحتى الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، زاد صوت القذائف قالت أنعام:أنا مش راح أفضل في البيت قد يكون الوضع مثل الشجاعية، أمي قالت لها وين بدنا نروح، ولكنهم قالوا أنه يوجد مخزن به أنابيب غاز جانب البيت شعرنا بالخوف، ووصل أخي هاني ٢٣ سنة في هذه اللحظات وقال اطلعوا من البيت سقطت القذائف قريبة منا وفي الشارع الثاني شهداء تركنا بيت فتحي وجميع عائلة المهموم تركت بيوتها، وبدأ الجميع يجري ولا أحد يعرف إلى أين؟ وافترقنا...

وما أن وصلنا عمارة البلبيسي، حتى زاد القصف علينا، فأصيب محمد، وسقطت على الأرض مغشياً عليّ، وأفقت على صوت محمد يقول: "هناء.. قومي.. دم، دم، مشيت فوق الجثث" قمت من مكاني ومشيت في الطريق، حتى شاهدت إسراء وإسلام قريباتي مصابات وملقيات على الأرض وعليهن حجار وغبرة، فاعتقدت أن إسلام استشهدت، واستمررنا في المشي حتى وصلت لبيت فحجان أنا ومحمد وكانت فتحية ابنة عمي عندهم. والقذائف في كل مكان ولا أعرف عن أهلي أي شيء. اتصلت على الإسعاف من أجل إسراء وإسلام ومحمد أخي.

نقل الإسعاف محمد وفتحية ورفض أن يدخل الشارع لنقل بنات عمي لخطورة الوضع وتركني وراح.. لم أعرف حينها أني

مصابة، عدت لعمارة فحجان كنت أحاول الوصول لمستشفى أبو يوسف النجار، مشيت بطريقي حتى وصلت مسجد السنة وأخبرني شباب بأن ظهري وجلبابي مليء بالدم، أمشي حافية القدمين، ونقلوني بسيارة الدفاع المدني إلى المستشفى الكويتي.

وما أن وصلت المستشفى، قاموا بعمل صورة أشعة لظهري والحمد للّه كان سليم حاولت الاتصال من هاتف الممرضة على أهلي لأعرف أخبارهم لكن الشبكة معطلة، جلست في ركن من المستشفى أبكي على بنات عمي إسلام وإسراء، وفجأة كانوا أمامي، تم نقلهم للمستشفى، حين رأيتهم، حمدت اللّه أن أهلي بخير، وبقينا حتى بعد الظهر، أخبرونا أنه يجب عليكم اخلاء المستشفى لوجود حالات كثيرة و المستشفى صغير لا يمكن أن يستوعب هذا العدد الكبير دفعة واحدة، خرجنا واتجهنا إلى دوار النجمة، فقابلنا أحد معارفنا قال لمحمد رأيت أخوك سامي عند دوار النجمة، وهناك أخذنا سامي لمدرسة تستخدم كمركز للإيواء بالقرب من جامع العودة.

وفي مدرسة الإيواء التقيت بفاطمة المهموم عرفت منها أن بناتها: هبة ٦ سنوات وهناء ١٨ سنة مصابات، وسميرة زوجة فتحي أخيها مصابة هي وابنها أمين ٦ سنوات.أعلم جيداً أن بناتها كانوا مع أهلي سألت عن أمي وأخواني لم يجيبوا على سؤالي، وأحد الموجودين قال أن أخي هاني مصاب، وكانت هناء ابنة فاطمة تعلم أن أهلي استشهدوا.

في اليوم الثاني (السبت ٢/٧) بلغني أسوء خبر قد أسمعه في حياتي، حين جلست مع ابنة خالتي، قالت لي:اللّه يرحمهم أهلك"، كانت على علم أن أمي عزيزة ٤٨ سنة استشهدت، وأختي وفاء ٢٤ سنة تدرس تكنولوجيا تعليم وكانت تحمل أنس ابن أنعام ٤ سنوات استشهدوا الاثنين، واستشهد أخي هاني ٢٣ سنة يدرس محاسبة، وأختي اسماء١٦ سنة، وأخي يحيى ١٣ سنة، وابنة عمنا قزاية المهموم ٣٢ سنة زوجة مصطفى ابن عمي وأبناءها الأربعة بيسان مصطفى المهموم ١٢سنة وهبة ٩ سنوات ودعاء ٤ سنوات وعبادة سنتين. واخوات قزاية عطاف ٣٠ سنة، وابتسام ١٨ سنة جميعهم استشهدوا.

تصمت هناء قليلاً، وتنفجر بالبكاء، وتقول بصوت خافت :

كل شيء تغير "ياريتهم راحوا كلهم وبقيت أمي" كانت دائماً تدعي يا رب احفظ البيت وأهل البيت"، حسب ما علمت من ناس شاهدوا الحدث أن أمي وأخي هاني كانوا مصابين واحتموا في الشارع تحت الشجر لكنهم لم ينجوا، وحسب تقرير المستشفى أن هاني محروق ومقطع أشلاء وأمي كان عندها تمزق في البطن وأحشاؤها للخارج، ووفاء استشهدت وإصابتها كسر في الدماغ وهي تحمل أنس ابن أنعام، أعطتها ابنها أمانة لأنها لا تقدر على حمله لديها أربعة أولاد غيره، ولن تستطيع حملهم جميعاً، لم تقدر وفاء على حمل الأمانة واستشهد أنس.. كان جثة بدون رأس والرأس في الشارع الثاني "مهشم". خالي قال أنه تم التعرف على وفاء أختي من أصابع يديها، ويحيى كان أشلاء مقطعة ومحروقة، وأسماء حسب تقرير المستشفى مكتوب وصلت جثة هامدة نقلت الى مستشفى أبو يوسف النجار وبنات عمي استشهدوا في الشارع.

أمي وإخوتي نقلوا إلى المستشفى الكويتي ثاني يوم، ومنه لثلاجة الخضار وأسماء أختي لم يعرفوا عنها شيء ورفض والدي دفنهم حتى يتم العثور عليها، "لندفنهم مع بعض" بحث عنها أخي سامي في المستشفيات، حتى وجدها مع الجثث التي تم نقلهم من مستشفى أبو يوسف النجار للمستشفى الكويتي، ورفض والدي أن أودعهم لصعوبة المنظر وهذه حسرة في القلب.
كان عدد أسرتنا ١١ فردًا استشهدوا خمسة: ولدين وبنتين والأم عزيزة، والباقون على قيد الحياة: ستة أفراد (ثلاث بنات وولدين والأب).

جاءت عمتي لمدرسة الإيواء وأخذتني لمدرسة إيواء ثانية قريبة منها، لمدة يومين وتركنا مدارس الايواء لسوء وضعها وازدحام الناس وعدنا لبيت عمتي بحي السلام حتى نهاية الحرب رغم صعوبة الوضع وخطورته.
بعد انتهاء الحرب عادت أسرتي للمنزل كانت مخلفات القذائف في كل مكان وقد دمرت خزانات المياه وعدادات الكهرباء وقطعت الشجر، عانيت من وضع نفسي سيء، وعدت لمنزلنا بعد شهر من الهدنة أحمل أحزاني وتدمرني الذكريات، أتذكر هاني وهو يقول: اطلعي يا هناء وكتب وفاء أمامي وشنطة يحيى وملابس أسماء بجواري.. أتذكر أمي و حنانها وتشجيعها لي على الدراسة ودعواتها "اللّه يوفقك" وكتاباتها على دفاتري أيام الامتحانات "شدي حيلك"، كانت الفرحة الأخيرة حين اجتمعنا بمناسبة نجاح إسراء في الثانوية العامة أثناء الحرب والتقطنا صور وكأننا نوثقها للذكرى.

إسلام أختي الصغيرة ٩ سنوات لا تتحمل رؤيتنا نبكي، وتقول لا تبكي أمي .. أمي راحت على الجنة.. منذ أسبوع تسأل عن الرعد وهل نستشهد منه وندخل الجنة؟ قلت لها لا.. الحرب فقط، قالت: متى ستعود الحرب لأذهب لأمي.. أمي كانت تعمل كل شيء نحتاجه وتغطينا وتأكلنا .. "والحرب القادمة بدي اروح على الصاروخ حتى أروح عند أمي"، رغم أنها تخاف وترتعب حين تسمع صوت صاروخ أو صوت الطائرة.
هناء أيضا تبدو الحيرة في عينيها ولا تعرف كيف ترد على أختها الصغرى وبما تجيبها!! وتقول وهي تتألم: "ما عدت أعرف ما يمكنني أن أقوله لها "
تعود هناء لتكمل حديثها وهي تبكي مع بكاء جدتها خضرة ٧٥ سنة التي لم تكف عن البكاء على زوجة ابنها وأحفادها وتحاول هناء التقاط أنفاسها وتكمل الحديث: في المدرسة علقت ليحيى صورة كبيرة تخليدا له، والآن محمد يجلس مكانه في نفس الفصل، أمي كانت دائمًا تسأل عنا في المدرسة وتتابع واجباتنا المدرسية.
وأبي يشعر بالحزن لفراقهم ويرفض الحديث عن أي شيء، حتى ذلك الشارع المشئوم أصبح اسمه شارع الموت والان اسمه شارع الشهداء استشهد فيه حوالي ٧٥ شهيد).
وتنهي هناء حديثها بقول: طلعنا ٣٠ نجري بالشارع خائفين من الموت رجعنا ١٤، يا ريت ما صحيت وما سمعت صوتك يا محمد حتى لا أذوق طعم الفراق، لم يعد لدنياي طعم ولا رائحة ولا لون، فقدت متعة الحياة.

Dearisa: Supers

"وما حدا عرف مين ابنه"

"وما حدا عرف مين ابنه"

السيدة شادية القصاص، تبلغ من العمر ٣٣ عاماً، متزوجة و أم لسبعة أطفال (أربع بنات وولدين) أسكن في بيت عائلة زوجي المسقوف بالزينكو، بحي الزيتون جنوب مدينة غزة وبسبب تلقينا منشورات من قوات الاحتلال بالإخلاء، لجأت و أسرتي لشقة والدي / خضر القصاص، بالطابق الأول من منزله المكون من أربع طبقات، حيث يسكن أخي إياد الطابق الثاني و أخي سليم الطابق الثالث، وأخي الكبير ياسر وأسرته، يسكن شقة بالطابق الرابع المسقوف بالأسبست، الكائن على شارع الثلاثيني، بجوار مفترق الطيران، بحي الصبرة.

فقدت شادية اثنتين من بناتها، من بين ٩ من أفراد عائلتها هم : لمياء ١٤ عاماً ونسمة ١١ عاماً، وزوجة أخاها ياسر/سمية صيام ٣٤ عاماً وجنينها، وبناتها: اسراء، وياسمين، وسمر، وأروى"، ووالدة رسمية فايزة صيام ٨٦ عاماً وزوجة أخيها علياء صيام ٣٤ عاماً.

تروي لنا شـــادية ما حدث مع عائلتها، وكأنها ما زالت تعيش الحدث، الذي لم يفارق مخيلتها منذ تاريخه، كما لم تفارق دموعها عينيها، فتقول:

دقت عقارب الساعة الثالثة مساءً، بتاريخ ١٩/٧/٢٠١٤، في شهر رمضان، بينما أنا جالسة في صالون الشقة بالطابق الثاني جاءتني ابنتي لمياء تطلب أن تصعد إلى شقة خالها ياسر بالطابق الرابع كي تشاهد سمية زوجة خالها تصنع الفطائر لطعام الإفطار ومعها أمها /فايزة صيام، وزوجة أخيها/ علياء صيام وأبنائها الثلاثة ، فأذنت لها.. ويا ليتني لم أفعل، فلحقت بها ابنتي الأخرى بسمة دون أن أعلم، دقائق حتى رن هاتفي، إنه زوجي يطمئن عليّ وعلى أولادنا، وبينما أنا أحدثه سمعت صوت انفجار قوي جداً وأشياء تتكسر، خرجت من باب الشقة إلى الدرج فشاهدت أنبوبة غاز، وقد اشتعلت النيران بالستائر والسقف والشـــبابيك بالطابق الثالث، صرخت وبأعلى صوتي وبدأت أنادي على بناتي وزوجة أخي وبناتها، ولم أسمع صوت أحد، وبدأ الجيران بالصعود لإنقاذ الجرحى من البيت وساعدوني وأنزلوني للشارع.

سكتت برهة وتساقطت الدموع من عينيها وعلامات الحزن ترتسم على جبينها وتعود للحديث: "هربت من بيت الزينكو لمكان آمن فقصفوه وفقدت بناتي".

لقد قصفت شقة أخي ياسر، بالصواريخ التي قطعت من كان بالشقة أشلاءً ، استشهدت ابنتاي (لمياء و نسمة) ، اللتان اختلط لحمهن بلحم بنات خالهن (اسراء و ياسمين و سمر و أروى). كما استشهدت أمهم زوجة أخي ياسر سمية القصاص (صيام) ٣٤ عام وكانت حامل في الشهر السابع تحمل بأحشائها ولد اعتقدت أنه سيكون أخ لابنها خضر الذي كان برفقة والده خارج المنزل،"نقلت إلى المستشفى وهي تضع يدها على بطنهاخوفا على الجنين الذي انتظرته طويلا واستشهد معها جنينها، واصيبوا الأربع بنات الأخريات، واستشهدت والدتها فايزة صيام ٨٦ عام وزوجة أخيها علياء صيام ٣٤ عام وكانت جثتها ممزقة

وتعرف عليها زوجها بصعوبة، وأصيبوا أولادها الثلاثة: عدي ١٢ عام ومحمد ١١ عام ولؤي ٩ سنوات،
ترتعش يداها وتبكي بحرقة وحسرة وألمًا لما أصابها وأصاب أخيها من فقد أحبائهم وتقول بصوت عالي:
حتى واللّه ما ودعتهم دفنوهم دون أن أراهم، أختي قالت لي: "مسكت رأس بنتك وقع مني".. لم يستطيعوا فصل الأطفال عن بعضهم وكان صعب التعرف عليهم لأنه أجسامهم كانت أشلاء "لموهم كلهم في شرشف سرير شفت فقط شعر بنتي محروق وشفت صندلها"، كما حكوا لي أنه كان منظر لا يوصف، حتى الآن لا أصدق ما الذي حدث ، فلم أستوعب الأمر، لدرجة أنني أهُذي كل يوم في منامي.
لقد دفنوا جميعًا كما هم بالشرشف: "وما حدا عرف مين ابنه"، وقد قفل علىّ الباب ولم يسمح لي بالخروج حتى لا أراهم أشلاء، بعد فترة بدأوا بتنظيف المكان وجدوا (فك وبه أسنان صغيرة بيضاء شعرت أنها لابنتي فأخذتها، وأصابع مقطعة، وقطع جلد من أجسادهن) لمن منهن اللّه أعلم.
ابنتي نسمة كانت مريضة ونائمة كيف راحت لبيت خالها ومتى لا أعرف؟؟ استشهدت وهي مريضة تركتها في الفراش وأنا أحدث والدها بالتليفون!!
لم أتوقع بحياتي أن بيت أهلي وبالذات بيت أخي ياسر سيقصف، حتى الآن لم أصدق نفسي وحين أرى بنات أخي أتذكر بناتي وأخواتهم وأمهم الحامل بولد قتلوهم بدم بارد، زوجة أخي كانت تقول أنا فرحانة جداً لأني سألد أخ لخضر وسأعمل أسبوع ونفرح جميعًا، كانت طيبة جداً وتسعى على رزق عائلتها وزوجها المسكين، تركته وحده يواجه مصاعب ومشقات الحياة، كانت حنونة على بناتها، الآن لم يتبقى لهن أحد لا أم ولا جدة حنونة.
وتنظر لابنة أخيها "اسلام ياسر القصاص" ١٤ عام التي قصف منزلهم وهي تعاني من تخلف عقلي وطالبة في "مؤسسة فلسطين المستقبل". وهي تضع أختها الصغيرة ملك ذات العام والثلاث شهور في حضنها ويغمرها الحزن وهي تقول:
أحزن جداً حين تروي اسلام بنت أخي ما رأته من مناظر تقشعر لها الأبدان تقول: " كنت أتفرج انا ولمياء على أمي وجدتي كيف يصنعون عجينة البيتزا، توجهت أغسل يدي في الحمام ووقعت علىّ الحجار وخرجت من الحمام، وجريت لأهرب وأنا بأجري دوست على قدم ما بعرف لمين، شاهدت أشلاء كثيرة رؤوس مقطعة وأصبت في يدي وعيني وأذني وما بسمع فيها، شفت أختي ملك سنة وثلاث شهور نائمة حملتها ونزلت لقيت أبوية وأخوية خضر يصعدون الدرج ليعرفوا شو صار وبعدين أخذوني على المستشفى".
تذرف دمعة تتبعها تنهيدة ثم تقول ضميري يعذبني أنني وقت الحدث لم أصعد لشقة ياسر حتى لو شفت قطعة من بناتي، أخذوا معهم روحي وحياتي وبسمتي من يوم ما استشهدوا نزل وزني عشرة كيلو، "حاسة أن فرحة عمري قتلت وما عادت تدخل قلبي بعدهم"، كنت أتابع ابنتي الكبيرة كل ما بتكبر شوية افرح عليها اقول بنتي كبرت، أنجبتها بعد تعب وتأخير في الحمل، كل ما أغسل ملابس إخوتهم بغسل ملابسهم وكأنهن أحياء معهم.
أنا الآن قد يكون جسدي حاضراً مع من حولي، لكن روحي أبداً ما فارقت أحبتي الشهداء.

"أنا جيت تعالوا"

88

"أنا جيت تعالوا"

السيدة آمال أحمد الأغا ٤٤ عامًا، متزوجة من السيد/عطا فضل الأغا ٥٢ عامًا، تقيم و أسرتها الصغيرة المكونة من سبعة أفراد بمنزل مكون من طابقين في منطقة معن بخانيونس شرق الجامعة الاسلامية، وإلى الشـــرق منه على بعد ٨ أمتار بمســـافة مفتوحة يقع منزل أخ زوجها/ نادر الأغا، وهو مكون من طابقين يعيش فيه مع عائلته المكونة من تسعة أفراد، وإلى الشرق من منزل نادر وعلى مسافة تقدر بـ ٦٠ متر يقع منزل أخوهم مجدي المكون من طابقين.

فقدت آمال اثنين من أبنائها، فهي جزء من الفاجعة في ذلك اليوم العصيب حين قصف منزل نادر فضل الأغا (أخو زوجها) فوق رؤوس من فيه وأدى لاستشهاد ١٢ فرد من العائلة وهم :

محمد عطا الأغا ١٩ عامًا، عبد الحميد عطا الأغا ٢٤ عامًا، مـــروة الأغا ٤٨ عامًا، نادر الأغا ٤٥ عامًا، وزوجته نـــــريمان ٣٩ عامًا وأولاده: اياد ١٦ عامًا وفضل ١١ عامًا، أحمد نادر الأغا ٢٠ عامًا، دنيا نادر الأغا ١٥ عامًا، داليا نادر الأغا ١٨ عامًا، وأولاد مجدي الأغا : نضال ١٨ عامًا، وعطا ٢٤ عامًا.

لم تنتظر عائلة الاغا عيد الفطر كباقي الأعياد ولم تخرج كعادتها لزيارة الأقارب والأصـــــــــدقاء فهذا العيد مختلف، عيد مليء بالشـهداء والجرحى، والجميع يأخذ الحذر، والشـوارع أصبحت مليئة بالمفاجآت، فلم يغادر أحد البيوت ولم تعد الأرجوحة اللعبة المفضلة للأطفال في هذه اللحظات العصيبة.

تروي لنا السيدة أمال قصتها، بقلبي مليء بالأسى، وعينان مخضبات بالدمع، ووجه رسمت كل تعابير الأسى عليه، فقالت:

إنه أول أيام عيد الفطر الذي من المفترض أن يكون سعيداً، أذكر ذلك التاريخ جيداً ٢٨/٧/٢٠١٤، تناولنا وجبة الإفطار في وقت متأخر، ثم دخل أولادي للنوم في غرفهم، جلســـت وحدي في المنزل أبحث عن أحد يحدثني الجميع نائم وتأخروا بالنوم، دخلت أتفقدهم، دخلت غرفة ابنيّ محمد وعبد الرحمن فوجدتهما نائمين، تركتهم نيام، وخرجت لأجلس في صـــالون المنزل، حتى العصـــر قاموا من نومهم وجلســـنا لتناول الغذاء، وكالعادة نتناول أطراف الحديث حول العدوان و مســـتجداته، لا أدري ما الذي دفعني في ذلك اليوم لأن أسأل: "كيف يقصـفون البيوت المتلاصقة"، قالوا: "صاروخ شفط"، لأول مرة أسمع هذا المصـطلح، ما أشعرني بالضـيق و الاختناق، شعرت بخوف لم أشعر به منذ بداية العدوان، فســألني محمد: "ما بك؟ قد تغيرت ملامحك؟"، قلت له: لا .. لا .. لا شيء، تركوني وأكملوا حديثهم في الصالة.

بعد أن أنهوا حديثهم بحلول المغرب ذهب محمد لبيت عمه نادر ولحق به عبد الحميد ويوسف، في حين انتقلت مروة زوجة مجدي الأغا أخ زوجي واثنين من أبنائها: عطا ونضال لبيت نادر، وأرسلت أربعة من أبناءها، لبيت أهلها في منطقة السطر الغربي،

وخلال العدوان اعتدنا أن نجتمع في بيت نادر الأغا جميعنا كونه أكثر أمنًا من بيوتنا خاصة وأن بيتنا ملاصق للجامعة الاسلامية، التي نظن أنها قد تكون هدفًا للاحتلال.

تلك الليلة من أصعب الليالي التي عشناها طوال العدوان، فعند حوالي الساعة ٩:٠٠ مساءًا اشتد القصف على محيطنا، فسمعنا أن بيت شعت قد قصف، وما هي إلا دقائق حتى سمعنا صوت حجار تتساقط ووقعت جدران السطوح وجزء من غرفة محمد ووقع الحمام الشمسي إلا أنني لم أسمع أي صوت لصاروخ، نظر زوجي من الشباك، باتجاه منزل أخيه نادر، فعاد كالمجنون يركض ونزل للشارع، نزلت خلفه، شاهدت حفرة كبيرة وكومة ركام، مكان بيت أخيه نادر المكون من طابقين، ركض مسرعًا، و تجمع الجيران ومعهم الكشافات للبحث عن من بداخل المنزل الذي لم يبقى منه سوى كومة ركام.

وجدوا محمد ابن نادر يقف أمام البيت مصاب ووجه وظهره وملابسه مليئة بالدم، وأخبرهم بأنه كان جالس بين أولاد عمه عطا ومحمد ابني، وفجأة وجد نفسه يطير وسقط خارج المنزل، ثم قال: إن الباقين في البيت، فهرع الجميع لمحاولة إيجاد أحد حي، فأول من وجدوا ابني يوسف ١٣ عامًا، تحت الركام مصاب في جميع جسمه، إلا أنه بفضل اللّه حي، بدأ الأمل يعود إلينا، وسرعان ما تلاشى ذلك الأمل حين عثروا على ابني محمد ١٩ عامًا أخرجوه جثة هامدة من تحت الركام و ظهره ينزف دمًا، فحين علمت باستشهاده، لم أصدقهم، شعرت أن قلبي خلع من مكانه، إلا أن اللّه ألهمني صبرًا، فدخلت بيتي وتوضأت وسجدت أصلي للّه. وما أن انتهيت حتى سمعتهم يكبرون وأخرجوا جثة مروة الأغا ٤٨ عامًا زوجة مجدي، ثم عثروا على جثتين لأبناء نادر : جثة أحمد ٢٠ عامًا، وشقيقته دنيا ١٥ عامًا، ووجدوا أختهما داليا ١٨ عامًا مصابة اصابات بالغة، فنقلوها للمشفى، ودخلت لغرفة الجراحة مباشرة، لكن قضاء اللّه كان نافذًا، فأثناء العملية خرج أحد الأطباء و أخبرنا بأنها استشهدت.

واستمرت عمليات البحث عن المفقودين حتى الساعة ١٠:٣٠ مساءًا، طلب رجال الاسعاف والدفاع المدني إخلاء المكان بناء على تبليغ من الصليب الأحمر بأن قوات الاحتلال ستقصف المكان مرة أخرى، فتوقفت عملية البحث رغم وجود ٧ أفراد لم يتم انتشالهم، وانتظرنا حتى الصباح، فعاودنا الاتصال بالدفاع المدني لانتشال الباقين من تحت الركام، إلا أنهم تأخروا بالحضور، وتذرعوا بأن المنطقة لم تعد آمنة بعد بناءً على توجيهات من الصليب، حتى حضروا في الساعة الواحدة ظهراً، وأكملوا البحث حتى الساعة الرابعة مساءًا وانتشلوا جثامين الشهداء الباقين وهم: نادر الأغا ٤٥ عام وزوجته نريمان ٣٩ عامًا، وأولاده: اياد ١٦ عامًا وفضل ١١ عامًا، وأولاد مجدي الأغا : نضال ١٨ عامًا وعطا ٢٤ عامًا، وأخيراً انتشلوا جثة ابني عبد الحميد ٢٤ عامًا ، وبدى و كأنه غير مصاب، وأُخبرنا فيما بعد من الأطباء أنه مات اختناقًا، حرموني منه، وحرموه أن يكمل تعليمه الجامعي، ليحمل شهادة القانون، تصمت ثم تقول: "آه وبعيدها"، نقلوا جميعًا إلى المستشفى الأوروبي، ليكتمل عدد الشهداء لـ١٢ شهيداً من عائلة الأغا، فلم ينجوا ممن كانوا في البيت إلا : أحمد ابن نادر، وابني يوسف .

بعد ذلك ذهبت لوداعهم في المستشفى الأوربي و اكمال اجراءات دفنهم في نفس اليوم، ودعناهم جميعًا ومن هناك، شيعنا جثامينهم للدفن في المقبرة ثم عدنا لمنزل أقاربنا في خانيونس.
تصمت السيدة آمال، وتتساقط الدموع على ثوبها، ترفع رأسها و تنظر للأعلى لتعود بذاكرتها لما قبل العدوان وتكمل حديثًا عن عائلتها وأبنائها الشهداء وتقول:
كنت أنوي أن أخطب فتاة لابني محمد، وبالفعل قمت بشراء غرفة نوم له، إلا أننا أجلنا كل شيء بسبب العدوان، وكنت أظن أنني سأزوجه بمجرد انتهاء العدوان، فطلبت من أقاربي شراء غطاء للسرير من الإمارات، فلم أكن أعلم بأنه سيصلني بعد استشهاده بأربعين يومًا. تقف من مكانها وتدخل غرفة وتعود حاملة غطاء سرير جميل، تفتحه وتفرده على قدميها، وتقول : هذا هو الغطاء، وتزداد بكاءً، وتحتضن الغطاء، تشتد حالة الحزن وينخفض صوتها باكية وتمسح دموعها بيديها المرتجفتين وتقول: أولادي كانوا محترمين، اشتقت لضحكتهم لم يتبقى لي غير الصور، أكلمهم كل يوم في الصورة، عبد الحميد لسانه حلو وكان يقف بجانب الفقراء ويساعدهم، دائمًا على لسانه حاضر"، وما كان يكسر لي طلب كان خجول كثير"، ويجامل أصحابه في المناسبات وقبل الحرب زاره عدد كبير من أصدقاه وكان سعيد جدًا برؤيتهم، واعتاد في رمضان أن يجمع التبرعات من الأسر الغنية ويوزعها على الأسر الفقيرة.

أذهب لزيارتهم في المقبرة كل يوم جمعة لا أستطيع التأخر عنهم كان عبد الحميد متعلق بابن أخته الصغير والصغير متعلق بهم حين آخذه معي الى المقبرة ينادي عليهم ويقولهم "انا جيت تعالوا".
وتضرب بكفيها وتقول: لا أعلم لماذا قصفوا بيت نادر كان يعمل مزارع من ٢٠ سنة بزرع فلفل وباذنجان كل يوم يلقط الثمار وابنه ينقله للتجار على السوق كنت أتمنى أن ينجو هو وزوجته... ما ذنبهم يقصفوا بيتهم ولا يبقى منهم غير ولد !!! شو عملوا شو أذنبوا ؟؟؟ لا سمعنا صاروخ انذار ولا تبليغ، كنت أخاف أنشر الغسيل على السطوح ولأول مرة يضربوا المنطقة كان القصف في الأراضي الزراعية البعيدة عنا.

وما ذنب مروة زوجة مجدي كانت طيبة وخدومة، بحياتها ما أغضبت أحد وكانت صابرة على الحياة والفقر تركت أربعة من أبناءها (ولدين وبنتين) لا زالوا بحاجة لها ما ذنبهم يحرموا من حنان أمهم؟؟ تعبوا بعدها.
وما ذنب داليا التي فرحت بنجاحها بالتوجيهي ولم تكمل فرحتها ولم تحقق حلمها بدخول الجامعة هكذا تقتل فرحتنا قبل أن تولد!!
كم اشتقت أن أجلس بينهم من جديد، لقد عمّق الاحتلال جراحي، ودفن كل ذكرياتي الجميلة تحت ركام المنزل المدمر.

أولادي في ثلاجة الخضار

94

أولادي في ثلاجة الخضار

السيدة عبير موسى أبو عيطة، تبلغ من العمر ٤١ عامًا، تعمل معلمة في إحدى مدارس وكالة الغوث، متزوجة من الأستاذ فتحي عيطة يعمل مدرسًا، أم لستة أطفال: لينا ١٦ سنة، ودينا ١٤ سنة، والأولاد الأربعة: ابراهيم ١٠ سنوات واحمد ٧ سنوات، ومحمد وأنس التوأم ٥ سنوات، نسكن في بيت مسقوف بالأسبست، في مخيم الشابورة برفح .

تروي لنا عبير مأساتها، وقد نقش على جبينها تلك التعابير التي تعني كل شيء إلا الفرح، فتقول :

اقترح زوجي أن نترك المنزل ونعيش في بيت أهله أو بيت أهلي حتى تنتهي الحرب لأن بيتنا سقفه اسبست، رفضت الاقتراح أولًا: لأننا في منطقة غير حدودية وآمنة وجميعنا يسكن في نفس المنطقة، ثانيًا: بيته أهله يستضيف أخواته الثلاثة وعائلاتهن وبيت اهلي مزدحم ويستضيف أخواتي، يوم السبت الموافق ٢/٨/٢٠١٤ حوالي الساعة ١٠:٠٠ مساءًا اتصلت والدتي وطلبت منى المبيت عندهم.. حضرت شنطة الملابس وترددت في الذهاب" قلت بيت أهلي مليان وين بدي أخذ أولادي وأروح"، على الرغم أني جاهزة وارتدي عباءتي طول الوقت ولم أذهب وبقيت في بيتي.

وتقريبًا الساعة الثالثة والنصف صباحًا، كان زوجي يتصفح الأخبار عبر الإنترنت، وبناتي لينا نائمة في غرفتها، ودينا كانت في المطبخ، والأولاد الأربعة في الصالة ابراهيم وأحمد، والتوأم محمد و أنس، وفجأة سمعت صوت صاروخ، فجاءني ابني الصغير أنس وهو خائف وطلب الجلوس معي في الغرفة قلت له:"هات الفرشة وتعال عندني".

فورًا قطعت الكهرباء قبل أن يصل أنس عندي، حينها لم عرف ماذا حصل؟ إذ بي أسقط من مكاني وفرشة السرير فوقي وشعرت بثقل فوقي، صرخت على زوجي أين أنت، رد وقال: أنا واقع في حفرة في الخارج، ثم نادى عليّ ثانية، قلت له: فوقي ركام، قال لي: انطقي الشهادة، وسمعت صوت أشخاص يصرخون: إلحقونا.. الحقونا فوقنا ردم، ناديت ثاني على زوجي قال: راح ينقطع نفسي. بدأ الجيران برفع الركام، أخرجوني وأنا مصابة في قدمي، فوجدت نفسي في بيت جار لنا من عائلة الغول، وأخرجوا زوجي من تحت الركام والدم يملئ جسمه ووجهه، وكسور وتمزق في ظهره نتيجة الردم والحجارة التي كانت فوقه والناس تمشي فوقه، أيضًا وجدوه في ذات البيت.

نقلت وزوجي بالإسعاف لمستشفى ناصر بخان يونس، وصلت حافية القدمين، فأخذت حذاءً من الناس واتجهت لغرفة الطوارئ أبحث عن أولادي، فوجدت أنس حالته خطرة وسمعت أنهم وضعوه في ثلاجة الموتى فور وصوله المستشفى ظنوا أنه قد استشهد، لولا أن جارنا الذي نقله إلى المستشفى أخبرهم أنه ما زال يلفظ أنفاسه، ومن ثم أخرجوه وأسعفوه.

سألت عن أولادي في المستشفى فلم أجدهم مع المصابين، شعرت بقلق شديد.. اتصلت على أهل زوجي، إلا أن هواتفهم مغلقة، فاتصلت على إخوتي أيضاً هواتفهم مغلقة، أخيراً اتصلت على بيت أخ زوجي، سألتهم من مات ومن منهم على قيد الحياة، ما قال لي شيء وما فهمت منه، "نار ولعت في قلبي"، بقيت في حيرة من أمري حتى وصل أهلي المستشفى سألتهم عن أولادي قالوا في بيت جدهم، إلا أن شيئاً بداخلي يخبروني أنهم يكذبون، فأصررت عليهم، فقال لي أخي: "أنت مؤمنة واللّه يعوض عليك أولادك الثلاثة استشهدوا".

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ، وطلبت منهم ان أعود لرفح بعد أن قام الأطباء بخياطة وجه ابني أنس وظهره، وتركت أقارب زوجي عند أنس في المستشفى ورجعت إلى رفح، كان أهلي بانتظاري طلبت من أخي أن يأخذني إلى الثلاجة، نعم ثلاجة للخضار يوضع فيها الشهداء، لعلني أشاهد أولادي للمرة الأخيرة وبرفقتي والدتي وأختي، أخذني على شارع الزر حيث توجد ثلاجة الخضار سألنا حين وصلنا للثلاجة أين أولادي ولم نعرف الثلاجة ممتلئة بالجثث، عدت معهم إلى المستشفى الكويتي والشوارع خالية من الناس، هناك رافقني المسؤول عن نقل الجثث وعدت ثانية لثلاجة الخضار في شارع الزر، وطلب منى صاحب الثلاجة حين رؤيتهم أن لا أصرخ ..
تتساقط دموعها وتتوقف عن الحديث وتنتظر حتى تتغلب على نفسها لتواصل الحديث: لم أرى أولادي الثلاثة فقط رأيت اثنين منهم ابراهيم ومحمد وكأني لا أعرفهم، بأشكال مختلفة وكأنهم مش أولادي... لم أتمالك نفسي صرخت بأعلى صوتي حضنتني والدتي وحاولت تهدئتي، وسألتهم عن أحمد أخبروني أنهم نقلوه بإسعاف للمستشفى الإماراتي ولا يمكن رؤيته وأنه مقطع نصفين ووضعوه في كيس.

تسكت برهة وتعود للحديث عن بناتها لينا ودينا وتبدأ في الحديث بكلمات سريعة مرتجفة:
لينا كانت في غرفتها، شعرت بهزة ووقع فوقها ردم، صرخت وقالت: تعالوا خلصوني ما حدا سمعها سكتت وبعدها صرخت ثاني تعالوا أخرجوني، شعرت أنها مخنوقة، كانت رجلها تحرقها وظهرها يؤلمها، واعتقدت أن رجلها قطعت، حاولت أن تقوم ولم تقدر،حين أخرجوها من تحت الردم أغمى عليها وأفاقت في المستشفى، واكتشفت أن رجليها الاثنتين بهما جروح، ولا تستطيع المشي لمدة أسبوع، في البداية كانت تعرج على رجلها وكنتُ قلقة عليها، بعد ثلاث شهور عملت صور أشعة، الآن بدأ وضعها أفضل وان كانت نفسيتها سيئة خاصة في هذه الأيام بدأت تتذكر الحدث بكل تفاصيله.
وأخبرتني بأنها قبل يومين من الحدث حلمت أن ابراهيم ميت، وتحاسب نفسها كثيراً وتقول: "ليش ما حضنته وأعطيته اهتمام أكثر؟؟ ما افتكرت أن الحلم بدو يتحقق، وأندم أنني تركته، شعور يؤلم قلبي، ليلتها ناديت على أحمد قلت له تعال قال لي أنا في الصالة ولم يأتي"

أما دينا ابنة الخمسة عشر ربيعًا تتذكر مأساتها بحسرة وألم ويبدو عليها الحزن وهي تحمل أحزان أكبر من عمرها:
كانت في المطبخ تسخن خبز سمعت صوت مثل القصف لكن الصوت ضعيف، وقعت على الأرض ونطقت الشهادة مرتين وكانت تنادي على الناس لم يسمعها أحد، حتى رفعوا عنها ردم وجدت فتحة صغيرة زحفت على يديها وأرجلها وخرجت من تحت الركام، تحكي دون أن تسمع صوتها جرت أخذتها جارتنا لبيتهم حتى وصول الإسعاف ووجهها ينزف وكانت تصرخ أمي ماتت وجارتنا تحاول تهدئتها، وتقول لها أمك بخير رأيناها واقفة ونقلوها للمستشفى، غرزت جروحها وحين رأتني حضنتها وحضنت والدها وهي تبكي وانتقلت عند أنس وسألت عن اخوتها وأخذتها عمتها لبيتها.

توقف حديثها، وتنهدت ثم قالت: "اللّه يلهمنا الصبر على فراقهم"، تبكي بألم وحرقة وتردد جملتها بين الحين والآخر:
"مش مصدقة أخذوا نور عيوني كل يوم الساعة ٤:٣٠ أنتظر رجوعهم من المدرسة " قتلوا الفرحة في قلوبنا، أصحى وأنام وإحنا بسيرتهم، حرمت على نفسي أعمل أصناف أكل كانوا يحبوها، وكيف أعملها وأولادي ما يأكلوا منها؟ مش مصدقة كل اللي صار، قلبي مجروح وينزف كل واحد منهم قطعة من قلبي.

تضرب كفيها، وتكمل: ابني أحمد متفوق الأول على فصله ومؤدب ويحب لعب كرة القدم، عمره ما عمل أي مشكلة، ومحمد بيحب الحياة واللبس. كل شيء راح: الأولاد راحوا والبيت دمر بما فيه من أجهزة وأدوات كهربائية لم يبقي شيء، "لا مال ولا أولاد ولا بيت" كيف أبني حياتي من جديد؟ بعد أربعين سنة أعود أحمل وألد ثانية! أنجب أولاد وأرجع للحضانات عشان يكون لأنس أخوة، لا أمل ولا طموح .. نبني من جديد ونخلف من جديد .. رجعنا لنقطة الصفر رجعونا ٢٠ سنة للوراء.. ليتني لم أتزوج.
دمعتي لا تجف حين أتذكرهم لا أصدق!! معقول؟؟؟ هذه هي النهاية.. كنا أسرة متعاونة. مقسمين المهام بينا وحياتنا مرتبة نساعد بعض، الثلاثة شخصيتهم هادية وطباعهم حلوة كانوا عاملين حركة وحس في البيت دايما قريبين من بعضهم حتى بصورهم في كل المناسبات،" يا ريتهم عايشين ولادي" ايش ذنبهم؟ وما ذنب جيراننا؟
أنا لم يبقى لي سوى تلك الذكريات .,,

رقم "١٣" راح يما

100

Reebok

رقم "١٣" راح يما

تسكن عائلة محروس صيام في منزل يتكون من ثلاث طبقات تضم (٢٥) فرداً من الأبناء والأحفاد، يقع في منطقة الصيامات الكائنة وسط مدينة رفح، وهي منطقة شبه زراعية، عاشوا في الطابق الأرضي منذ بداية العدوان خوفًا من القصف الإسرائيلي المتواصل والعشوائي.

السيدة: دلال صيام (٦٥ عامًا)- متزوجة من السيد: محروس صيام (٦٨ عامًا)- ذا الوجه المرسوم بخطوط الزمن التي تفصل الحزن من أن يطغى على ما تبقى بها من ملامح، هي الجدة والأم التي فقدت (١٢) شخصـــــاً من عائلتها في لحظات تعتبرها الأكثر قسوة في حياتها، فهي لن تنسى يوم الاثنين الموافق ٢١/٧/٢٠١٤، ولن تمحوه الأيام، فهو التاريخ الذي فقدت فيه حياة أحبائها بفعل فاعل، وما أن تتاح لها الفرصة لكي تتكلم عن الحادثة حتى تكتم الحاجة دلال أنفاسها، ثم تقول: سمعت صوت انفجار قوي عند حوالي الساعة السادسة صباحًا، كان خلف منزلنا، تطايرت جرائه الكثير من الشظايا حول منزلنا وارتطم بعضها بحيطانه، تحطم زجاج الشبابيك وتساقط في الغرف، فزعت من شدته، خرجت من الغرفة التي تواجدت بها، فالتقيت بسائدة (زوجة ابني أيمن) كانت تغسل ملابس أطفالها، قالت لي، لقد قصفوا بيت جارنا أبو عبد الله، أفاق الجميع جراء صوت القصف العنيف: أبنائي وأحفادي، تجمعنا في وسط المنزل، وبعد لحظات فوجئنا بصوت انفجار ثانٍ، كان قريب جداً، صرخ ابني محمد: اشردوا يمه.. يلا اشردوا.. تحركنا بسرعة، فتحنا الباب، خرجنا، خفت أن تقصف قوات الاحتلال منزلنا ونحن داخله. في الشارع ركضت وزوجي دون أن ندري، كذلك ركض أبنائي وزوجاتهم وأبنائهم.. الشاطر اللي بيجري أسرع.. "أنا وزوجي" وابني نبيل: "وزوجته شيرين وأولاده الثلاثة وبناته الاثنتين"، "زوجة ابني أيمن وأولادها الخمســـــــة وبناتها الاثنتين"، ابني محمد: "وزوجته صمود وطفليهم: ميار (عام ونصـــــــف) ومعين (٤ سنوات).. لم يكن ابني: كمال وعائلته معنا لذهابه بهم إلى بيت أنسبائه قبل نصف ساعة فقط.. انفجار جديد.. وقع هذه المرّة قربنا ونحن في الشارع.. يتبعه انفجار آخر.. تصمت الحاجة دلال وتمسح دموعها التي تساقطت من مقلتيها بطرف حجابها، تستطرد قائلة: اتبعتروا زي الخرفان المذبوحة على الأرض".. ولما شفتهم امرميين صرت أصرخ.. أجري.. وأنادي بأعلى صوتي على الجيران: "إلحقونا.. إلحقونا.. يا ناس"، اطّلعت عليهم.. شفت ابني: محمد.. كان قلبه وأحشائه على الأرض.. وحفيدي: مصطفى (ابن نبيل) مرمي على وجهه ومخه على الأرض.. على الرغم من الغبار واسوداد الدنيا في عيناها إلا إنها تفقدتهم وحاولت اسعافهم بلا جدوى، تكمل: سمعت صوت حفيدي: محمد (ابن أيمن) بينادي على وبيقلي: تعالي إلي يا جدة.. رجلي انقطعت.. انقطعت، ركضت نحوه، أثناء شعرت بشيء ما في عينها وفي يدها اليمنى، وضعت يدها اليسرى على عينها التي بدأت تؤلمها في محاولة لتضميد جراحها، ولكي تتمكن من الرؤية، وتواصل محاولاتها لإنقاذ العائلة، وصلت حفيدها محمد الذي كان ينزف دمًا، وجواره شقيقه: أحمد الذي تمدد وجهه للأرض "رأسه على

البنكيت وباقي جسمه على الأسفلت"..
تبتلع الحاجة دلال مرارة حلقها، وتواصل الحديث: "آآآخ.. إيش بدي أحكي.. واللّه يا رب بيكفي راح ١٢.. ما تخيلتهم ١٣".
وصلت سيارات الإسعاف وأخذت تنقل الجميع إلى مستشفى أبو يوسف النجار، وهناك بدأ الأطباء يقدمون العلاج لي ولأفراد عائلتي، قالوا لي أني أصبت في ساقي اليمنى، كان جرحي غائرًا فقالوا من الصعب إجراء عملية حاليًا ولفوها وبقيت تحت المراقبة، كانت جراحي أعمق ووجعي أكبر على أبنائي وأحفادي، تقول: كيف بدي أضل على السرير وولادي ونسوانهم وأحفادي ما بعرف عنهم شي.. بدي أعرف مين عاش ومين مات فيهم.. بدي أودع اللي ماتوا.. نار بقلبي مولعة.. صرت أصرخ على ابن أخوي اللي كان معي بالمستشفى: ودِيني أشوف أولادي وصغارهم وزوجاتهم.. قالي استشهدوا وأخذوا جثامينهم يدفنوهم.. ما لحقت أشوف حد منهم.. ما ودعت حدا فيهم.. صرت أصرخ بعلو الصوت.. جاء الأطباء وأخذوني لثلاجة الموتى، قالوا لي: ما يزال بعضهم هناك، رحت أشوفهم.. شفت ابني كمال.. شفت جزء من وجهه بس.. وما رضيوا أرفع باقي الغطاء عنه.. شفت ابني محمد وودعته.. حضنته وبوسته وحكيت معه..

راحوا أولادي ونسوانهم وأحفادي كلهم.. راحوا بغمضة عين: زوجة ابني أيمن: سائدة (٣٨ عامًا) وأولاده: أمين (١٨ عامًا) وأحمد (١٥ عامًا)، وزوجة ابني نبيل: شيرين (٣٠ عامًا) وأولاده: مصطفى (١٠ أعوام) وغيداء (٧ أعوام) وعبد الرحمن (٦ أعوام) ودلال (٨ شهور)، عثروا على جثمانها على فروع شجرة في الشارع، وابني: كمال (٢٨ عامًا) يبدو أنه عاد بعد أن أوصل عائلته وتزامن رجوعه مع القصف، "وياريته ما رجع وضل مع مرته وولاده".. وابني: محمد (٢٤ عامًا) وزوجته: صمود (٢٣ عامًا) وطفلهم: معين (٤ أعوام)، جميعهم استشهد. وأصيب حفيدي: محمد (ابن ابني أمين) ويعالج في المستشفيات التركية وحالته خطيرة، حرجة ودخلوه عناية مركزة: "يا رب تشفي هالولد وترجعلنا اياه بالسلامة بيكفيني ١٢ من حبايبي يروحوا بلاش يصيروا ١٣".
تصمت الجدة صيام وتنظر لكومة من الصور نثرتها أمامها لأحبابها الذين ذهبوا إلى العلياء، وتركوها لتبكي فراقهم، تتنهد وتستكمل: أنا الآن بربي بتسعة أيتام (ثلاث أولاد وبنت) أخوة بدون أم، وولد بدون أم، وثلاثة بدون أب، وبنت بدون أب وأم.. وحسرتي عليهم وعلى أحبابي.... واللّه قلبي موجوع يمه.. ايش بدي أحكي ما إلي إلا الدعا.. ربنا يشفي الجرحى ويرحم الشهداء ويصبرنا ويعينا على تربية هالأطفال..

وبعد أيام من لقائنا معها تلقت الحاجة دلال خبر استشهاد محمد متأثرًا بجراحه في المستشفى التركي، ليلحق بالركب، ويحمل الرقم (١٣).
ذهبنا للحاجة دلال لتقديم واجب العزاء ولنطمئن على حالتها وعندما رأتنا لم تتفوه سوا بكلمة رقم ١٣ راح يما.

"في ثلاجة الموتى"

104

"في ثلاجة الموتى"

السيدة: سعدية عبد الكريم أبو جراد (٥٣) عامًا، شاهد على مأساتها: تسكن في منزل يتكون من طبقتين، يقع وسط مزارع الحمضيات في شارع عبد الدايم جنوبي عزبة بيت حانون، ويبعد منزلها مسافة تقدر بـ ٢٤٠٠ مترًا عن معبر بيت حانون (إيرز). متزوجة من السيد: موسى شاهين أبو جراد (٦٦) عامًا، لديها (١٦) من الأبناء (٨) منهم ذكور: طلال (٣٧) عامًا "متزوج"، حسام (٣٤) عامًا "متزوج"، ياسر (٣٢) عامًا "متزوج"، عبد الرحمن (٣١) عامًا "متزوج من السيدة: رجاء أبو جراد (٢٨) عامًا ولديه (٤) أبناء هم: وئام (١٠) سنوات، محمد (٧) سنوات، هنية (عامان)، وموسي (ثمانية أشهر)"، راتب (٢٨) عامًا "متزوج"، أحمد (٢٦) عامًا "متزوج"، نعيم (٢٣) عامًا "متزوج ولديه طفل وطفلة، ونعمان (١٩)عامًا "أعزب". والإناث هنّ: عايدة (٣٥) عامًا، أنعام (٣٠) عامًا، عائشة (٢٧) عامًا، وفاء (٢٤) عامًا، نعمة (٢١) عامًا، أحلام(١٧) عامًا، سهام (١٦) عامًا، وسمر (١٣) عامًا. ويسكن ابنها عبد الرحمن في شقة بعمارة تملكها العائلة تتكون من ثلاث طبقات ويشاركه السكن عمه وأبناء عمه حيث يتزوج ابنة عمه.

فقدت السيدة سعدية ثمانية أشخاص من عائلتها في قصف من قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال عدوان الجرف الصامد، هم: ابنها: عبد الرحمن موسى أبو جراد وعائلته "زوجته: رجاء، وأطفاله: هنية (عامان) وموسى (ثمانية أشهر)"، وابنها: نعيم "وطفله: سميح (عام و نصف)"، وطفلتيها: أحلام، وسمر.

بمجرد أن بدأت تروي قصة فقدانها لأحبابها بدأت كل خيبات الأمل تظهر على وجهها بحزن، وذرفت عيناها الدموع، وارتجفت يداها، وقالت: طلعنا من دارنا بعد ايام على العدوان لدار ابني عبد الرحمن لانو بمكان آمن وبين الناس مش زي دارنا بين البيارات.. طيارات الاحتلال قصفت جنب دارنا.. كانت الدنيا رمضان.. قعدنا كلنا في شقة عبد الرحمن.. كنا سوا نقعد سوا ونتسحر سوا ونفطر سوا.. ويوم الجمعة الموافق ١٨/٧/٢٠١٤، كنا حوالي (٤٠) شخص (مجموع أولادي وزوجاتهم وأولادهم، وبعض أقارب زوجي).. أفطرنا سوا وقعد جوزي واولادي يتفرجوا على الاخبار بالتلفزيون.. عالساعة ٩:٠٠ مساءً تقريباً أجا ابني عبد الرحمن من الغرفة الشمالية الشرقية للشقة.. قعد قبالي في قاع الدار (صالة صغيرة وسط غرف الشقة).. اطّلع في بطريقة غريبة.. قلتلو: ليش بتطلع فيي.. قاللي: صليتي؟ قلتلو: لا.. أنا خايفة وقلبي ناقزني (غير مرتاح).. حاسه انو في ايشي بدو يصير.. قاللي: متخافيش ما بيصير الا كل خير.. روحي صلي.. وراح لغرفة التلفزيون.. قمت لأصلي.. ما زلت حاسّة بشيء غريب.. مش مرتاحة.. خايفة.. طلبت من جوزي نسيب البيت لانو المنطقة خطر.. قريب منا بيارات كتير وقريب منا معبر ايرز.. ما رد علي.. كان قاعد مع اولادي في غرفة التلفزيون.. كان قاعد في الغرفة: مرت ابني عبد الرحمن: رجاء، وأولادهم: وئام

وهنية وموسي.. وابني: نعيم وابنه: سميح.. وبناتي: أحلام وسمر ونعمة.. صليت العشاء وقعدت.. حسيت بغليان في قلبي- كأن النار تشـــتعل داخله- بعد شوية وقعت عالأرض.. عتمت الدنيا- انقطعت الكهرباء- دخان وغبرة دبت الدنيا (ملأت المكان)، مش عارفة شو صار.. ما سمعت شي.. صرت أصرخ.. أصرخ.. ناديت على أولادي.. اطلعوا من الغرفة.. أجاني ابني راتب.. قومني.. قلي روحي اطلعي برة.. انزلي تحت.. ابعدي عن الدار.. روحي.. روحي.. نزلت ببطئ.. رجلية فيهن اكياس رمل.. كنت اســـتنى اولادي يلحقوني.. تطلعت وراي.. ما في حد لحقني.. سمعت صراخ.. ما في حد يقول يشـــو في.. تحت أجوا الجيران وخشـــوا في الدار.. أخدوني لدار قرايب النا جنب دار ابني.. سمعت صفارات الاسعاف- بعد مرور خمســـة عشـــر دقيقة- كثروا الجيران في الشارع.. كلهم راحوا للدار وطلعو للشـقة في الطابق الثاني.. عرفت منهم انو اللي صار قصـف من جيش الاحتلال.. الكل خاف يرجعوا يقصـــفوا البيت.. خفت.. قلت يارب يكون الجميع بخير.. أبنائي وعائلتي.. سألت عن أولادي والعيلة.. قالولي: بنتي: سمر استشـــهدت.. نعيم وأحلام ونعمة بخير.. بكيت.. سمر ماتت.. سئلت عن عبد الرحمن؟ قالولي: تصـــاوب وانقطعت رجلو.. (بترت ساقه) حمدت اللّه أنو بخير..

قضت ما تبقى من الليل دعاءً لأولادها وبناتها وعائلتها ومن أصيب منهم بالشفاء، كانت تتصل لتطمئن عليهم، فيخبرها زوجها أنهم بخير، وفي ساعات صباح اليوم التالي، ذهبت إلى مستشفى كمال عدوان مسرعة لكي تطمئن عليهم، دخلت المستشفى وبدأت تسأل الأطباء عن أولادها، بحسب علمها أنهم بخير، ولكنهم مصابين، صدمت عندما أخبرها أحد الأطباء بأنهم في ثلاجة الموتى، نزل كلامه عليها كالصـــاعقة، لم تتماسك، بكت بشـــدة، صرخت، باللفاجعة، طلبت من الطبيب أن تراهم: أولادها وأحفادها وبناتها، أن تودعهم، اســـــتجاب وأخذها إلى ثلاجة الموتى، فتحها، أخرج أولاً جثة: عبد الرحمن، كان يغرق في دمه وساقيه مبتورتين، كان المنظر صعب جداً: عبد الرحمن يا حبيبي يما.. مع الســـــلامة يما.. ثم شاهدت جثة زوجته: رجاء، كانت عبارة عن أشلاء ممزقة غير واضحة المعالم، وشاهدت جثة حفيدتها: هنية "طفلة عبد الرحمن"، لم تســـتطع النظر إليها حيث كان بطنها مفتوحاً وأحشائها تتدلى خارجه وقدمها محروقة، وتوالت الجثث أمام عيناها، ولم تكن مشوهة كالسـابقة، لم ترى حفيدها: موسى "ابن عبد الرحمن" لم يكن معهم، أخبروها بأنهم لم يعثروا على جثته في الغرفة، خرجت من ثلاجة الموتى، لم تستطع الوقوف، جلست في الخارج، ثم عادت إلى عزبة بيت حانون، دفن أبنائها وأحفادها كلهم: عبد الرحمن وزوجته وطفلته هنية، ونعيم وأحلام ونعمة وسمر، دون أن يعرف مصير الحفيد الرضيع: موسي، وفي اليوم التالي عثر رجال الإسعاف على جثته في الطابق الأول من المنزل- حيث طار جسـده الصـغير من الطابق الثاني إلى الطابق الأول- قال الأطباء أن عظامه قد كسـر بعضها نتيجة السقوط، ودفن جوار والديه. وأصيبت حفيدتها الطفلة: وئام "عبد الرحمن"، وابنتها: نعمة- التي وصفت اصابتها بالخطيرة (حروق في ساقها وكسـر في يدها وشظايا في كليتها)- ودخلت بغيبوبة لمدة خمسـة عشـر يوماً، وعندما استيقظت كانت فاقدة للذاكرة، لم تتذكر شيء، وكانت تقول لأمها: يما.. كان في بنتين صغار قاعدين معي وينهم؟ ولم تعرف أسمائهم، وبعد أيام تعافت وعلمت بما حدث، واستطاعت أن تتجاوز المحنة.

كانت السيدة سعدية تقف عن الحديث للبكاء ثم تسترجع ذاكرتها وتكمله ثم تبكي ثم تستطرد ثم تبكي وهكذا أكملت روايتها.. قالت: قالولي أنهم بخير.. أولادي وأولاد اولادي..لقيتهم في الثلاجة.. ثمانية راحوا في دقايق.. يا وجع قلبي.. كل أسبوع بروح أزور قبورهم.. ولادي وكنّتي واولاد اولادي وبناتي.. مشتاقالهم كثير.. بيكون نفسي أحكي معهم.. بحكي معهم وبسمعهم بيرودوا.. بيكون نفسي أفتح عليهم القبور وأطلعهم.. حاسة كأنه حدا زرع سكين بقلبي.. بروح أقعد عالشارع لاشوف البنات وهن رايحات المدارس لأتزكر بناتي.. يا ريت أولادي ضلوا صغار وما كبروا.. أنا حاسة حالي وكأني بدوامة في البحر.. وكل ما زاد الوقت زاد الحزن بقلبي والشوق الهم بقلبي.. حاسة وكأن أبنائي وأحفادي في سفر.. كل يوم بنتظر رجوعهم.. هيك راح أضل لحتى أروح عندهم...

"سبقها الموت لهم"

110

Forever You

"سبقها الموت لهم"

شيماء زعرب تبلغ من العمر ١٧ عاماً، متزوجة وحامل بطفلها الأول في شهرها التاسع، نظراً لاقتراب موعد ولادتها وبدء العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة، انتقلت للجوء في بيت أهلها المكون من طابق أرضي بمنطقة الإسكان السعودي، لقربه من مستشفى الولادة في حي تل السلطان، باحثةً عن الأمن في ظل عائلتها.

فقدت شيماء ١٥ فرداً من عائلتها، وهم: والدها رأفت زعرب ٥١ عاماً، وأمها سناء ٤١ عاماً وجدتها أم والدتها صبحة ٦٦ عاماً، وإخوتها أمير ١٦ عاماً، وعدي ١٣ عاماً، وشهد ١٠ أعوام وخالد٩ أعوام. وخالتها سعاد ٤٠ عاماً، وأولادها أحمد ١٥ عاماً، ومحمد ١٢ عاماً، ووليد ٦ أعوام، ومعتصم عامين، وأولاد خالتها أحلام: رامي ١٥ عاماً وروان ٨ أعوام.

تروي لنا شيماء قصة فقدانها ١٥ فرداً من عائلتها، لم تكن تعلم شيماء أن الأمان الذي كانت تطلبه في بيت أبيها، هو ذات المكان الذي فيه الموت، الذي فرض الحزن على تقاسيم وجهها، بدأت تروي لنا شيماء قصة فقدانها لأحبابها فقالت:

هربت من بيتي لبيت أهلي، والتقيت بتوأمي شيرين التي أكبرها بخمس دقائق، وقد سبقتني عندهم بأسبوعين، وذلك لسفر زوجها لمصر للعلاج مع أمه، وكذلك أتت جدتي (والدة والدتي) صبحة، وبعد يوم من وصولي جاءت خالتي أحلام وأبناءها هرباً من منطقتهم التي تعرضت للقصف ذلك اليوم، أما خالتي سعاد سبقتنا بثلاثة أيام ومعها أولادها الأربعة وبناتها الاثنتين.

حوالي الساعة العاشرة ليلاً، من يوم الجمعة الموافق ١/٨/٢٠١٤، بينما أجلس أنا وخالتي أحلام وأختي شيرين في الغرفة، وباقي العائلة متواجدون في الصالة، والدي رأفت زعرب ٥١ عاماً، وأمي سناء ٤١ عاماً، وجدتي أم والدتي صبحة ٦٦ عاماً، وإخوتي أمير ١٦ عاماً، وعدي ١٣ عاماً وشهد ١٠ أعوام، وخالد ٩سنوات، وخالتي سعاد ٤٠ عاماً، وأولادها: أحمد ١٥ عاماً، ومحمد ١٢ عاماً، ووليد ٦ أعوام، ومعتصم عامين، وبناتها سجى وألاء ١٨ عاماً، وأولاد خالتي أحلام: رامي ١٥ عاماً، وروان ٨ أعوام.

جلسنا معاً في الغرفة وكانت، أختي شيرين بيدها الجوال تقرأ رسائل الأخبار وأنا وخالتي أحلام نتحدث ونضحك، وغالبنا النعاس فغفونا.. وفجأة فزعت من النوم على حجارة فوقي وغبار في كل مكان، ناديت بأعلى صوتي على أمي وأبي "لا أحد يجيب"، مددت يدي لأتلمس جدار الغرفة، فوقعت خارج البيت في الشارع، حاولت النهوض من مكاني، فشعرت بألم في ظهري وكتفي وكان في يدي ورجلي حروق ودم يسيل من رأسي، لم أستطيع المشي جيداً فزحفت في الشارع، والتيار الكهربائي مقطوع عن المنازل، وواصلت الزحف بالشارع وأنا أردد بصوت عالي أسماء عائلتي، وفجأة سمعت صوت أختي شيرين تنادي، فعرفتها وناديت بصوت عالي عليها وتقابلنا وكانت معها ابنة خالتي سعاد آلاء وساعدتني شيرين على النهوض وبدأنا بالركض معاً باتجاه شارع مضيء.

شاهدنا الناس تجري خائفة إلى المدارس، استوقفنا أحدهم: "وطلب منا أن يأخذنا إلى مدارس الايواء، رفضـــنا الذهاب معه"، فما زالت الطائرات تحلق فوقنا، وخشـينا أن نتعرض للقصـف ومشـينا بجانب البيوت، شاهدت إسعافًا فركضـنا تجاهه، فهناك أناس متجمهرة ذهبنا إليهم، فسألنا أحد الرجال: ما بكن؟ أخبرناه بأننا مصابات، فساعدنا وأخذونا إلى الإسعاف الذي وجدنا فيه رجل يحمل طفلاً لا يتحرك ومليء بالدماء، ركبنا الإسعاف ونقلوا معنا جثة بدون رأس ويد مقطوعة، شـعرت بالخوف ونزلنا من الإسعاف، ونقلونا لإسعاف ثاني، فوجدنا فيه سجى ابنة خالتي سعاد فاقدة الوعي ولون جسـدها أسود وتعرفنا عليها بصـعوبة، ونقلونا إلى المستشفى الإماراتي، وهناك نقلت سجى ابنة خالتي سعاد للمستشفى الكويتي.
ادخلونا المستشـفى وفور دخولي أخذوني لفحص الجنين، كان رأسي ينزف دمًا، قطبوا جرحي ٦ قُطبَ، وكان يزداد الألم بكتفي وظهري وتسيل الدماء من جسدي ولا أعلم أين اصابتي.
أتى خالي محمد على المستشـفى لحظة خضـوعي أنا وأختي شيرين للعلاج والتقطيب فسألته عن أهلي فقال لي: كلهم بخير، لكنهم نقلوا لمستشفيات أخرى فصدقته".

حيث كان رأس أختي شيرين ينزف دمًا أيضـــًا، وسمعت شيرين تطلب من الدكتور إجراء مكالمة من هاتفه النقال، فلبى طلبها وحاولت الاتصـال على هاتف أمي وهاتف أبي وكانت الاجابة (الهاتف مغلق.. مغلق.. مغلق)، حتى جاءنا دكتور ثاني فسـألته عن أهلي فقال لي: أن الحالات الصعبة لا تنقل على المستشفى الإماراتي، وكأنه يؤكد لي أنهم مازالوا على قيد الحياة".

انتظرت حتى السـاعة الثانية صباحًا شعرت بالتعب وازداد الوجع في جسـدي كله ولم أستطيع أن أتحرك، أخذوني لعمل صورة أشعة، وقالوا: رضوض في الجسـد وركبوا لي محلول، سألنا قريب لنا يعمل مسـعف في المسـتشـفى عن أهلي فأجاب: كلهم بخير، ومضـى الوقت حتى آذان الفجر، بدأت أشعر بأعراض الولادة، وأنا على غير موعد ولادتي، أنزلوني للطابق السـفلي إلى قسـم الولادة، قالوا أنني بحاجة لبعض الوقت، ووضعوني تحت الرقابة. مرة أخرى أخذنا هاتف الدكتور نكلم أقاربنا، واتصـلت على زوجي ولم يجيب، وحتى الساعة ٩:٠٠ صباحًا وصلت عمتي تبكي، وهي تظن أن بيت الجيران هو المقصوف وأهلي بخير.

وأخذوني مرة أخرى أجري فحص للاطمئنان على الجنين وبينما كنت تحت الفحص جاء أخي وســـألني: أين كان أبي موجود؟ ، قلت: كان في الصـالة وبعدها لم أره .. فلم يتفوه بشـيء، وتركنا المكان أنا وألاء وشيماء وأخي، وخرجنا متجهين إلى قسـم الاستقبال في المستشـفى فقابلنا خالي محمد يبكي وكان يقف بجانبه عمي رياض، فشـعرت أن أحدًا استشـهد ولكن لم أعرف من. فسألني عمي رياض "وين كانوا أهلك قاعدين"، قلت له: في الصالون حينها بدأت أشعر كأن قلبي سيخرج من بين ضلوعي من سرعة الخفقان وشعرت أن أقدامي لا تستطيع حمل جسدي.

وإذ بزوجي يصل ضمني وبدأ بمواساتي وقال لي لقد استشهدوا جميعًا، فلم أتمالك نفسي صرت أبكي وأصرخ بجنون وأغمى عليّ.
أفاقوني وانتظرنا حتى الساعة الواحدة والنصف ظهرًا، وقاموا بدفنهم ما عدا أمي سناء ووليد ابن خالتي لم يعثروا عليهم من تحت الأنقاض، واستمروا في التفتيش عنهم، حتى وجدوا أمي في المطبخ وبيدها غلاية القهوة، ووليد ابن خالتي فوق بيت الجيران.

استشهد جميع من في البيت ١٥ فرد والدي ووالدتي وإخوتي وأختي وخالاتي وجدتي وأبناء خالاتي، ويقيت على قيد الحياة أنا وأختي شرين وبنات خالتي ألاء وسجى التي تعالج في تركيا، وولدت ولادة مبكرة قبل الموعد المحدد لي.
تنهمر دموعها وهي تتذكر أمها وتقول: أمي اشترت لي ملابس الحمل وجهزت ملابس واحتياجات المولود، سرير وألعاب وملابس كبيرة وصغيرة صيفي وشتوي وكأنها على علم بأنها لن تشتري له بعد ذلك، كانت ترافقني في كل شهر للعيادة للاطمئنان عليه، وأختي شهد كانت تقول "بدي أحمل بنتك"، وأبي يقول: يوم ولادتك سأحملك على ظهري وأجري حتى تصلي المستشفى. وفي الأيام الأخيرة كانوا يساندوني كثيرًا.

تنظر لوليدتها الصغيرة بحزن وعيناها تغمرها الدموع وكأنها تذكرها بأنها لن تفرح مع جديها ولن تلعب معهم.. كانوا بانتظارها لكن الموت سبقها لهم، صمتت شيماء ورجعت في ذاكرتها للوراء ثم قالت:
دائما كنت أجلس مع أمي وأبي .. أتحسر على نفسي لم يعد لنا أحد.. فقدناهم جميعًا، طوال الوقت أشعر بالتعاسة، أشتاق اليهم كثيرًا لا أستطيع نسيانهم وكيف بي أنساهم! وما ذنبهم ليقتلوا ويدمر البيت على رؤوسهم!! بأي ذنب يقتلون؟؟ قتلوا فرحتنا وحرمونا من حنان والدينا، وكأن الدنيا أغلقت أبوابها في وجهي ..!!

كأننا سراب

116

كأننا سراب

الطفلة ديانا عياد تبلغ من العمر ١٥ عامًا، توفى والدها منذ عشـر سنوات وتركها واخوتها أطفال صغار، يعانون قسـوة الحياة وفجاعتها، فقر وحرمان يبحثون عن معنى الفرحة كأمثالهم من الأطفال... يعيشـون مع والدتي الأرملة منى عبد الرحمن عياد ٤٣ عامًا، وأخي كمال ٢٢ عامًا وزوجته، و أخي محمد ٩ أعوام، وغادة ١١ عامًا، وجدها سـعدي عياد ٨٤ عامًا، وجدتها هنية العبد عياد ٦٤ عامًا، ولجأت عندهم أختهم هالة ٢٤ عامًا وابنها محمد ٥ أعوام للإقامة معهم كونها حامل بتوأم في الشـهر السـادس وتسـكن قرب مدرسة تونس شرق حي الزيتون لخطورة الوضع في منطقتها وهربًا من القصـف الإسرائيلي على منطقة الزيتون شرق غزة منذ بداية الحرب "الجرف الصامد" على قطاع غزة.

تقطن ديانا وعائلتها بشارع المنصورة بالشجاعية شرق مدينة غزة وسط حي شعبي مكتظ بالسكان، يبعد عن حدود أراضي الـ ٤٨ التي تسيطر عليها قوات الاحتلال الإسرائيلي نحو ١٥٠٠ متر، بمنزل مسقوف بالزينكو بشارع المنصورة، فقدت الطفلة ديانا أحد عشر شخصًا من عائلتها، وهم : والدتها/ منى عياد ٤٣ عامًا، وأختيها/ غادة، وهالة الحامل بتوأم وابنها محمد ٥ أعوام، وبنات عمها/ نرمين وفدا رفيق عياد، وأولاد عمها/ فتحي: شيرين ١٨ عامًا، ورامي ٣٣ عامًا وابنه محمد، وأولاد أعمامها/ أسامة ربحي عياد ٣٣ عامًا، وأحمد سامي عياد ٢٧ عامًا.

حائرة عيناها تلتفت يمين وشمال تبحث عن أعزاء فقدتهم وقلب حنون لم تعد تلتمس حنانه، وبيت متواضع يبدو وكأنه خرابة دمرت أركانه ولم يبقى سوى معالم وجدران تنتظر موعد الازالة.
فاجعة أصابت عائلتها إحدى عشر فردا استشهدوا من العائلة مبعثرين على الأرض ومن هول الفجيعة لا أحد يعلم من بقي على قيد الحياة ومن أصيب ومن استشهد....

تعالت أصوات الأقارب والجيران حين قدمت بصحبة أخيها من مستشفى القدس بغزة..جاءت ديانا .. ديانا وصلت.. ها هي ديانا .. هكذا كانت تعبيراتهم عن فرحة وصولها من المسـتشـفى، وعلامات الحزن المرسومة على وجه الجد والجدة حين استقبالها تكشف عن آلام مغروسة كالخنجر تربط الماضي بالحاضر..
وترتسم على وجهها ابتسامة تخفي خلفها علامات استفهام لا نعرف معنى لها ولا تفسير لأسبابها وهي تروي الحدث:
منذ بداية العدوان لم نغادر منزلنا أنا وأسرتي وجميع عائلة عياد وجيراننا من سكان الحي على الرغم من سماعنا أصوات

القصف الاسرائيلي لأماكن متفرقة من حي الشجاعية، لعدم توفر أي بدائل يمكن أن نقيم فيها، "الأماكن كلها مثل بعضها مش آمنة والضرب في كل مكان"، ووضع أهالي المنطقة الاقتصادي لا يسمح باستئجار بيوت خارج الشجاعية.

صمتت برهة وتنظر بعينيها لمن حولها: جدها، جدتها، أخوها كمال، عمتها، ابن عمتها وكأنها تقرأ الحدث من عيونهم وقالت: يوم السبت الموافق ١٩/٧/٢٠١٤، الساعة ١٠:٠٠ مساءاً، سمعنا صوت عدة انفجارات من قصف إسرائيلي، اشتد القصف وارتفعت أصوات الانفجارات بشكل كثيف في منطقتنا لأراضي زراعية ومنازل سكنية، وفي محيط منزلنا بدأت شظايا القذائف والصواريخ الإسرائيلية تتساقط على سطح منزلنا المسقوف بالزينكو. شعرنا بالخوف الشديد أنا وأسرتي وأصبحت حياتنا مهددة بالخطر في أي لحظة، واضطررنا للجوء لمنزل ابن عمي "ناصر حلمي عياد" المجاور لمنزلنا، وكانت معنا عمتي فريال وأولادها وبناتها وعدداً من أفراد عائلة عياد لأن منزل ناصر عياد مبني بالباطون ومكون من ثلاث طوابق. تجمعنا ما يقارب ٥٠ فرداً من عائلة عياد غالبيتهم من النساء والأطفال.

"كانت ليلة رعب" زادت أصوات الانفجارات وصوت شظايا القذائف تتساقط على المنزل، أصبح من وجهة نظر الجميع أن المكان الآمن تحت الدرج رغم ضيق المكان، وبين الحين والآخر كنت أرى الشظايا والركام تتساقط علينا والدخان ينتشر في البيت، والنساء والأطفال تصرخ من شدة الانفجارات وتساقط الغبار والتراب وازدحم المكان.
أمضينا ليلتنا في جو من الرعب والخوف، وكنا ننتظر الصباح بفارغ الصبر، وكأن النجاة مع طلوع الشمس، حتى أصبحت الساعة السابعة صباحاً اقتربت الدبابات من بيوتنا، سمعنا صوت انفجار عال.. قالوا لي: بيتكم دمر!! قرر الجميع الخروج من منزل ناصر ابن عمي على دفعات، خرجنا باتجاه شارع المنصورة أنا ووالدتي وأختي غادة وأخي محمد الصغير وأختي هالة ٢٤ عاماً وأنا أحمل ابنها الصغير "محمد"، في الطريق التقينا ببنات عمي رفيق: فداء ٢٥ عاماً وأختها نرمين ٢٠ عاماً، وأولاد عمي فتحي رامي وأحمد وشيرين ونهى عياد زوجة رامي وابنهما محمد عامان ونصف، وكان العشرات من أهل الحي يتركون منازلهم ويهربون باتجاه شارع المنصورة والقذائف تتساقط بشكل كثيف، والجميع يصرخ ويبكي ويجري بأقصى سرعة.

وركضنا قرابة الـ ١٠٠ متر، حتى وصلنا قبالة "سوبر ماركت الغرابلي"، تساقطت علينا قذائف المدفعية بشكل مباشر، سقطنا على الأرض أنا ووالدتي وأخواتي وبنات وأولاد أعمامي وسط الشارع، وشعرت بألم في مختلف أنحاء جسمي وبدأت تسيل الدماء من جسدي، وكانت والدتي وأخواتي وبنات وأولاد أعمامي ممددين على الأرض وهم ينزفون وأنا أبكي وأصرخ وأنادي على أهل الحي الهاربين ليسعفونا." لكن ما حدى منهم توقف عن الجري"، وكانوا يبتعدوا عنا خوفاً على حياتهم وما زالت القذائف تتساقط.

أكثر من نصف ساعة وأنا ملقاه على الأرض أبكي وأنزف وأشعر بألم شديد في مختلف أنحاء جسمي، ثم سمعت صوت رامي ابن عمي فتحي يصرخ وينادي على أخيه أحمد المصاب ويصرخ اسعاف... اسعاف ... انقذونا...ما حدى بيسمع .. ولا حدى بيوقف عن الجري وكأننا سراب!!!

وازداد ألمي والدم بلل ملابسي، أنظر بين الحين والآخر على والدتي وإخوتي وأقاربي وهم ينزفون، لا أعرف بمن أفكر بإصابتي؟ أمي.. أخواتي .. أختي هالة الحامل بتوأم ستة شهور .. ابنها الصغير.. من منهم مصاب؟ ومن منهم قد فارق الحياة لا أعرف.

ومضت نصف ساعة من الجحيم، مر أمام ناظري شريط حياتي، كأنها نصف قرن، حتى توقفت أصوات القذائف وحضر أخي كمال وأولاد عمتي فريال: شريف وأشرف وشباب من العائلة لم يتمكنوا من مغادرة منزل ناصر بسبب تواصل القصف المدفعي حملوني لمنزل سلمان عياد المجاور خوفًا من أن يعاود القصف بالقذائف على المنطقة مرة أخرى، وانتظار وصول سيارات الإسعاف، ولم يسمح للإسعافات من الدخول للمكان وتم نقلي بسيارة مدنية لمستشفى الشفاء، وعند وصولي المستشفى نقلني الأطباء لغرفة العمليات مباشرة بسبب خطورة اصابتي بشظايا في أماكن متفرقة من جسمي وأنا أنزف وأرتجف خوفًا.

في المستشفى خضعت لعمليات جراحية استغرقت ساعات طويلة كما قالوا ليَ ولا زال هناك شظايا لم يتمكن الأطباء من اخراجها منى بسبب تواجدها في مناطق خطيرة في جسدي. عشر أيام قضيتها في مستشفى الشفاء لم أري فيهم أمي كنت بحاجة إلى حضنها وحنانها وحين أسألهم عنها، يقولون: رجلها مكسورة لا تستطيع المشي.. وأخواتي ؟؟ اختي هالة الحامل .. ابن أختي كان بين ذراعي حين أصبت .. ماذا أصابهم؟ لا إجابة جميعهم بخير كيف وقد رأيتهم بجواري ينزفون.. من الذي استشهد..

وبعد عدة أيام أخبروني باستشهاد والدتي وأختي غادة وأختي هالة الحامل بتوأم وابنها محمد ٥ سنوات، وبنات عمي نرمين وفدا رفيق عياد وأولاد عمي فتحي: شيرين ١٨ عاما ورامي ٣٣ عامًا وابنه محمد، وأولاد أعمامي أسامة ربحي عياد ٣٣ عامًا وأحمد سامي عياد ٢٧ عامًا وأصيب أخي محمد ١٠ أعوام في رجله وقطع إصبعه.

تصمت قليلا ثم تعود: لا أذكر أن أمي تركتنا يوما فكيف اليوم تتركنا ونحن بأشد الحاجة اليها .. ورحلت، لا زلنا بحاجتها .. مش قادرة اتصور الحياة من غيرهم ..

تدهور وضعي الصحي والنفسي لفقدانهم ونقلت لمستشفى القدس بتل الهوى في غزة لتكملة علاجي مدة ١٧ يوم ولا زال

عندي مشـاكل صحية واليوم خرجت من المسـتشـفى على أن أكمل علاجي في الخارج وبجسـمي شظايا وجروح بحاجة للعلاج بالخارج.

ويبقى لي سؤال لا اعرف من يجيبه !! ما الذنب الذي اقترفناه لكي تقصفنا القوات الاسرائيلية بتلك الطريقة البشعة وتقتل من عائلة عياد ١١ فرداً وتدمر بيوتنا وحياتنا، وتقتل فينا الأمل، فأي حياة هذه الحياة.

شفت الجثث على الأرض إمّليا المكان

122

شفت الجثث على الأرض إمّليا المكان

السـيدة: عبير زكريا محمد حمد، تبلغ من العمر (٣٨) عامًا، متزوجة من: مهدي محمد أحمد حمد (٤٠) عامًا. لديها من الأبناء سبعة، أربعة من الأولاد هم: يانس (٢٠) عامًا، محمد (١٩) عامًا، كنان (٦) أعوام، وراكان (٣) أعوام، ولديها ثلاثة من الإناث هن: دينا (٢٢) عامًا، نانسي (٢١) عامًا، ودانية (٩) أعوام. وتسكن وعائلتها في منزل يجاور منزل عائلة زوجها قرب المضخة غربي مسجد العجمي في شارع حمد، في بيت حانون. لمهدي ثلاثة أخوة. حافظ (٣٨ عامًا) ويتزوج: سهي حمد (٣٢) عامًا، وأطفاله هم: أمير (١٠) أعوام، والتوأم: محمد ونور (٥) أعوام. وإبراهيم (٣٧ عامًا). ونبيل متزوج ولديه أولاد ولكن قبل الحادث بيوم ذهب هو وعائلته إلى بيت أخته.

بدأت عبير تروي ما حدث معها ومع عائلتها، حيث تعتبر أن ما حدث قلب حياتها رأسـاً على عقب فقالت: يوم الثلاثاء الموافق ٧/٨/٢٠١٤، وكان يصادف اليوم الثاني من العدوان على قطاع غزة، جاء شقيق زوجها حافظ للجوء إلى بيت العائلة لأن بيته كان قريب من معبر (إيرز)، ومعه زوجته وأولاده. وبعد أداء صلاة العشاء، كانت العائلة تجتمع في الفناء الفاصل بين بيتها وبيت الأب- الفناء بمساحة ١٦م، كان عددهم حوالي (٢٢) شخصـاً، الأب: محمد حمد، وزوجته: رسمية حمد، والأبناء: حافظ حمد وزوجته سهي وأبنائه أمير ومحمد ونور، وزوجي مهدي و أولادي دينا ويانس ومحمد وكنان وراكان وإبراهيم.

"كنّا قاعدين في الفناء لانو الدنيا حر.. قاعدين مسـتبردين.. كل العيلة ما عدا نبيل أخو زوجي وعيلته.. راحو عند اختو.. كان قاعد بحضـني اولادي: دانية وراكان، قام حماي وخش في بيتهم.. ليتفرج عالتلفزيون ويعرف آخر الأخبار.. حكالي زوجي "مهدي" اروح مع عمي واشوف اذا بدو ايشي.. وقلت اودي اولادي دانية وراكان بعد ما ناموا في حضـني.. حملتهم ودخلت الغرفة اللي جنب الصـالون.. كان عمي قاعد في الصـالون.. قعدت اتفرج معو على التلفزيون.. بعد شوي طلع عمي محمد برة للفناء.. سمعتو بيقلهم خشـوا جوا الوقت اتأخر والطيارات مملية الجو.. القصـف إشتد تعالو.. قالوله: ما تخاف روح أنت جوا شوي وبنلحقك.. أجا ابني كنان ونور ابن حافظ مع سيدهم لجوا.. بدوا يلعبوا في الغرفة.. حسيت حالي نعسانة.. عالساعة ١١:٣٠ المسا سمعت صوت انفجار هز البيت.. قزاز الشبابيك تكسر.. الدخان انتشر.. والغبار الأسود ملى المكان.. ظلمت الدنيا لانوا لكهربا انقطعت.. كل هادا حصل فجأة.. تذكرت وقت ما قصف الاحتلال بيتنا قبل سنوات.. قلت بعقلي انو هاد صاروخ تحذيري.. طلعت برة اقولهم يلا نشـرد من البيت.. سمعت صوت ابني راكان بيصـرخ.. كمان كنان ونور ابن مهدي كلهم صرخوا.. ونادوا عليّ.. رحت عليهم.. كانوا خايفين.. قلتلهم اهدوا ما في شي.. كمان شوي بنطلع من البيت.. كانوا مصابين وبينزفوا دم..

واجسامهم كلها غبرة.. حسست على اولادي.. اطمنت عليهم.. ما عرفت وين اصاباتهم.. قلتلهم اقعدوا على الدرج.. رحت لبرة وسط العتمة.. ضو القمر ساعدني شوي.. ابني محمد كان واقف على الدرج.. كان بينط وبيصرخ وبيقول: أبوي وأعمامي ماتوا.. وصلته.. ما صدقت.. اتطلعت على مكانهم.. شفت منظر ما توقعتو بحياتي.. شفت الجثث على الأرض مليا المكان.. والدم على الحيطان.. نزلت أول الدرجات.. شفت حماتي (رسمية) ممددة عالأرض.. ما بتتحرك.. جنبها سفتي: سهى زوجة حافظ.. جثة هامدة ما بتتحرك.. نزلت أكتر.. جنب العمود شفت بنتي دينا.. قاعدة على الكرسي زي ما سبتها.. كانت مغمضة عينيها.. رحتلها.. ناديتها.. صحيتها.. حركتها.. ما ردت.. دينا ماتت!! انصدمت.. صرت احكي معها وأقوللها: مُتيِّ يا دينا.. مُتيِّ.. اتطلعت حولي على الأرض.. جنب دينا شفت جثة.. المكان مليان غبرة ما عرفت جثة مين؟ افتكرتو زوجي مهدي.. ناديت عليه: يا مهدي.. يا مهدي.. أجا ابني محمد.. قاللي هذا مش أبوي.. هاذا عمي إبراهيم.. صرت أدور على مهدي.. بين الجثث شفت حافظ أخو زوجي.. كان جثة هامدة ما بتحرك.. كان قاعد عالكرسي زي بنتي دينا.. كان مخو طالع ورأسه فاضية.. كأنه الصاروخ مرق من راسو.. ابني محمد شافو صار ينط فوق ويصرخ.. حسيتو انهبل.. كان بحالة هستيرية.. خفت كتير.. كنت منهارة.. بس مسكت حالي شوي عشان اولادي.. لحتى الان ما لقيت زوجي.. بعد شو لقيتو عند رجلين أخوه حافظ على الأرض.. مسكته من ايده اليمين لأرفعو.. ما حسيت ايدو طبيعية.. رخوة كأنو ما فيها عظام.. كانت ايدو عبارة عن جلد فقط.. خفت كتير.. سبت ايدو.. صرت اصرخ.. يا ناس الحقونا.. انجدونا.. ما دريت بحالي.. ما تحملت.. صرت اجري.. اصرخ.. انادي.. رحت ناحية الباب الرئيسي وطلبت المساعدة.. شفت حماي قاعد عالأرض بيطلع على الجثث.. الكل مصدوم.. اجا ابني يانس من فوق.. كان بالطابق الثاني من بيتنا.. أول ما شاف المنظر وقع على الأرض.. وقف.. ووقع مرة ثانية.. أجو الجيران والناس بعد ربع ساعة تقريبا.. كانوا خايفين ينقصف البيت مرة ثانية.. استنجدت فيهم.. قلتلهم اسعفوا الأطفال: كنان، وراكان، ونور ابن حافظ.. حملتهم ووصلتهم لبيت الجيران من فوق الحيط اللي بين بيتي وبيتهم.. وصل الإسعاف ودخلوا الناس البيت.. بدوا يخلو الجثث.. حكولي القرايب سيبي البيت انت ومحمد بلاش يقصفوه مرة ثانية.. رحت لبيتهم القريب.. وبعدين اخذتني سيارة إسعاف لمستشفى بيت حانون.. في الإسعاف اطلعت في ابني محمد لقيتو بينزف دم.. كان مصاوب.. ما كنت شايفاه.. وصلنا المستشفى.. دخلنا الاستقبال.. لقيت ابني يانس على سرير.. كان غرقان بدمو.. تذكرت لما شفتو بالبيت لما كان بينط.. كان بينط من الاصابة يا مرارتي.. شفت اولاد حافظ: أمير ومحمد.. كانوا بينزفو دم.. شفت الجثث: زوجة حافظ كان جسمها بدون عظام.. حتى خاتم زواجها ما قدر الدكاترة يطلعوه من أصبعها.. قصوا الخاتم من ايدها عشان يطلعوه.. قاللي الدكتور انو بنتي دينا استشهدت بسبب انفجار داخلي جواتها..

في المستشفى حاول الأطباء إسعاف ابني كنان وأخبرني أحد الأطباء أن حالته صعبة جداً وحرجة، وقال: يجب أن يحول إلى مستشفى الشفاء، أردت مرافقته إلى الشفاء ولكن أحد أفراد عائلتي عرض علَّي أن يذهب هو مع كنان وأنا أبقي في مستشفى

بيت حانون حتى أحضر تشييع أفراد عائلتي، ولكني لم أقبل وصممت أن أذهب مع ابني الصغير، حتى أني قلت لهم كل عائلتي استشهدت أريد أن أبقى مع ابني فهو صغير جداً، وكانت إصابته خطيرة، إصابة في كتفه وأيضاً إصابة في قدمه. وعند حوالي الساعة ٣:٠٠ فجراً ذهبت بالإسعاف مع ابني كنان إلى مستشفى الشفاء، وفي الطريق إلى المستشفى شعرت بأني سوف أفقد الوعي، وحاول رجل الإسعاف أن يقدم لي المساعدة لأن حالتي لم تكن مطمئنة، كنت أفكر بابني، وما حدث لنا؟ لم أكن أتوقع كل هذه الهمجية والظلم بحقنا وحق أطفالنا، لم أتخيل يوماً أن أفقد زوجي، رغم أن زوجي كان مريضاً بمرض السرطان (سرطان بالغدة الدرقية)، وكان يذهب دائماً إلى مصر للعلاج هناك، وأنه بعد فترة طويلة من العلاج شفي منه، ولكن ليس بشكل كامل، فلماذا استشهد اليوم وتركني وحدي؟ كل هذه الأفكار كانت تخيم على عقلي طول الطريق، وصلت مستشفى الشفاء وقام الأطباء بالكشف على ابني كنان وتقديم العلاج المناسب له، عندها خرج الطبيب ليخبرني أن وضعه الصحي صعب وأنه يجب أن يسافر إلى ألمانيا، ليكمل علاجه هناك وتقديم أفضل وسائل العلاج له، حينها وقفت دون حراك، وبدأت المستشفى بترتيب أوراق سفره. وعند الساعة ٦:٠٠ صباحاً قررت حضور مراسم الدفن، وكان الوضع مخيف جداً في بيت حانون، حيث أن القصف كان ما زال مستمراً على البلد، وبصعوبة بالغة استطعت العودة إلى مستشفى بيت حانون، وعندما وصلت كانوا أقاربي قد قاموا بتشييع جثامين كل أفراد عائلتي، وكان كنان قد غادر برفقة الأطباء من قطاع غزة إلى ألمانيا لتلقي العلاج.

انتهت عبير من رواية أحداث قصتها المؤلمة، تلك الأحداث التي كانت لا تتمنى أن تحدث لها، فهي كانت تعيش مع زوجها وأولادها بسعادة كبيرة، أما الآن فهي تحمل ثقلاً كبيراً علي أكتافها، فهي المسئولة عن أولادها المتبقين، الأن مسئولة عن ستة أبناء منهم ابنتين وأربع أولاد ومنهم إثنين يدرسون في الجامعة، وتعتبرهم المسئولين عن أمهم و اخواتهم بعد استشهاد زوجها فهي تعيش أياماً صعبة ومريرة، تخاف على أولادها كثيراً حتى أنها بعد الحادث تنام هي وأولادها بصالون بيتهم الواسع حتي يكونوا أبنائها جميعاً بجوارها، مبررة ذلك قائلة (لو عشنا نعيش مع بعض وإن متنا نموت مع بعض)، فهي لا تنام ليلاً تتذكر زوجها وابنتها الكبيرة التي بدأت تكبر شيء فشيء وتتذكر زوجها الذي كان يتحمل مسئولية البيت وتقول فرحت كثيراً عندما شفي من مرض السرطان لأني كنت خائفة أن أفقده في يوم من الأيام، ولكن اللّه لم يأخذه بالسرطان أخذه بالشهادة. تكمل لتختم حديثها سأكرس حياتي لأبنائي فقط لأعوضهم عن فقدان والدهم وجدتهم، وسوف أكون أنا لهم الأب والأم والأخت وكل شيء يحتاجونه، سوف أفعل ما في وسعي لألبي طلباتهم، ولن أجعلهم يحتاجون أحد، وأنا كلي يقين بأن اللّه سيساعدني ويخفف عني هذه المسئولية لأن اللّه هو من يعلم بحال كل شخص و أنا كلي ثقة بذلك.

ATHL
ETIC

مركز الميـزان لحقـوق الإنسـان
AL MEZAN CENTER FOR HUMAN RIGHTS

فلسطين - قطاع غزة

مكتب غزة
الميناء - شارع عمر المختار
(مقابل محطة عكيلة للبترول)
ص ب: ٥٢٧٠
تلفاكس: ٢٨٢٠٤٤٢/٧ - ٠٨

مكتب جباليا
معسكر جباليا - شمال مركز الشرطة
ص ب: ٢٧١٤
تلفاكس: ٢٤٨٤٥٥٥/٤ - ٠٨

مكتب رفح
شارع عثمان بن عفان
عمارة قشطة الطابق الأول
تلفاكس: ٢١٣٧١٢٠ - ٠٨

البريد الكتروني
info@mezan.org
mezan@palnet.com

الموقع الالكتروني
www.mezan.org